بيوت قرطبة العربية



طارق الخالد

Los / The PATIOS de / of CORDOBA

بيوت قرطبة العربية



طارق الخالد

باللغات: العربيه، الانجليزيه، الاسبانيه

المحتويات

كلمة إلـى القـارىء

ان المسكن من ضروريات الحياة - فالانسـان لايمـكن ان يعيش حياة اجتماعية متكاملة بدون المسكن الذي يؤويه ويؤوى عائلته . واذا لم تراع في تصميم وبنـاء المساكن النواحي الاساسية النابعة من التراث والبيئة وأسلوب الحياة الاجتماعية المهمـة في تكوين المسكن خاصةً ، والمدينـة بصـورة شاملـة لايمـكن ان تتوفـر الحياة الاجتماعية الصحيحـة .

وعلى وجه الخصوص عندما يتحول اهتمام الافراد الى المظاهر السطحية والتكاليف الباهظة . . . ويتكاثر الطلب على مختلف المنتوجـات الأجنبية ، فتهمـل النواحـي الأصيله المستمدة من تراث المجتمع وذاته . وبالتالـي تفقد مدننا العربيـة اصـالتها وطابعها المميز .

فلينظر أبناء الأمة العربية اليوم الى تراثهم العظيم ليستمدوا منه مقومـات الحضارة العريقة التي تتطور مع كل عصر ، دون ان تفقد عناصرها الأصيلـه .

المقدمة

لاتزال ذكريات الماضي الأندلسي تعيش في بيوت قرطبة الجميلة ذات الطابع العربي الأصيل الذي انتشر في أنحاء البلاد خلال العصور الاسلامية في الاندلس . فلهذه البيوت جمال خاص وجاذبيـة مميـزة ، مما أدى الى جعل قرطبة من أجمل مدن العالم وأشهرها .

لكي نبدأ بالتعرف على مميزات هذا الطابع الجميل من البناء الذي انتشر في المدن الاندلسية ومازالت آثـاره باقية في بيوت قرطبة العربية حتى اليوم ، علينا ان نفهـم الدور الذي لعبته قرطبة في تاريخ الحضارة كعاصمة اسلامية ليس فقط بالنسبة الى منطقة شبه الجزيرة الايبيرية ، وانما تأثيرها الحضاري في أنحاء اخرى من أوروبـا .

لقد كانت قرطبة - عاصمة الاندلس الاسلامية - اكبر وأجمل مدينة في أوروبـا الغربية قبل أكثر من الف عام أي في القرن الرابع الهجري عندما وصلت الحضـارة الاسلامية في الأندلس الى اوجهـا ، فلم يكن لهذا التراث الحضاري المميز اي مثيل في انحاء اوروبـا خلال تلك القرون .

كانت قرطبة مليئة بالبيوت الجميلة والقصور والمساجد والحدائق والمكتبات والمدارس والأسواق والحمامـات ، فتغنى الشعراء بجمالها وجمال الاندلس وسجل المؤرخون اهميتها وعظمتها ، وزارها كثير من المعجبين فشهدوا على ذروة حضارتها .

وكذلك اليوم . . . يأتيها الزائرون من كل بلاد العالم ليشاهدوا آثارها الاسلامية وأهم هذه الآثار هو مسجدها . . . فان جامع قرطبة الكبير درة فنية رائعة لامثيل لها في العالم الاسلامي وبناء فريد في العالم بأسره .

ويجذب انتباه هؤلاء الزوار جمال منازل قرطبة القديمة التي لاتـزال محافظـة على خصائص وملامح الطابع العربي حتى اليوم وبعد مرور أكثر من الف عام . ومما يدل على جمال هذا الطراز وسلامة الذوق فيه ، أن هؤلاء الزوار ينتمون الى بلاد مختلفة ولكنهم جميعهم لايترددون في ابـداء اعجابهم بهذا الطابع الاندلسي الذي استمد مميزاته من فنون البناء العربي الأصيل .

وقد ادى هذا الاعجاب الى الاهتمام بهذه البيوت ذات الطابع القديم حتى تحافظ قرطبة على طابعها التاريخي بعد ان كادت هذه المنازل ان تختفي من الوجود . وقد تكونت جمعية من بعض اهالي قرطبة والمسؤولين فيها للاهتمام بهذه البيوت .

وأهم عمل لهذه الجمعية ، هو الاحتفال بهذه البيوت بمناسبة خاصة في فصل الربيع من كل عام . فتزين هذه المنازل بالازهار الجميلة المختلفة الالوان وغيرها من النباتات التي تضيف جاذبية الى كل منزل ، ثم تفتح هذه البيوت لاستقبال الزوار لعدة ايام ليتم اختيار اجملها ويمنح اصحابها الفائزون جوائز مالية تقديرا لعنايتهم واهتمامهم بهذا التراث القديم . ولقد التقطت غالبية صور هذا الكتاب اثناء هذه المناسبة الخاصة بقرطبة وبيوتها العربية في عام ١٩٨٢ .



الماضي القديم

يعرض في اول قسم من المتحف الاثري في مدينة قرطبة بقايا من أدوات مختلفة وقطع حجرية اثرية استخدمها سكان هذه المنطقة الأوائل ، ويعود تاريخ بعضها الى ماقبل ثلاثمائة وخمسين الف سنة ، وقرطبة تقع على ضفاف نهر سماه العرب نهر الوادي الكبير ومازال يسمى بهذا الاسم . ولاشك ان هذا الوادي من اقدم مناطق شبه الجزيرة الايبيرية التي سكنها الانسان منذ اقدم العصور .
فالحياة توجد اينما وجد الماء ، فتوفر المياه في هذه المنطقة قد ساعد على حياة الانسان منذ البداية ، ثم ان توفر الماء . . وهو اساس الحياة . . كان مهما هنا بعد اكتشاف الانسان لاساليب الزراعة البدائية ، خصوصا بعد انتشارها في بلاد مابين النهرين « العراق » وانتقالها الى أنحاء أخرى من العالم على مر العصور منذ الاف السنين . وقد أدى هذا التطور الى تكوين مجتمعات مستقرة في قرى ومدن منها ماتطور ونمى ليشمل اعداداً كبيرة من السكان .

ويعتبر انتشار هذه الاساليب الزراعية دليلا على الاتصال بين هذين الجزأين من الشرق والغرب . فقد كان هذا الاتصال بطيئا جدا ولكنه بالاضافة إلى الاساليب الزراعية شمل نواحي مختلفة اجتماعية وفكرية وروحية كان لها تأثير مهم في حياة السكان . وقد مرت هذه الاتصالات بين الشرق والغرب بمراحل مختلفة وعلى مدى طويل من الزمن واستمرت كموجات عبر التاريخ ومن ضمنها تحركات بشرية وفكرية كان لها تأثير بأساليب الحياة الاجتماعية . وتكونت في الاندلس نتيجة لذلك حياة اجتماعية كان لها طابع معين تميز به سكان المنطقة وتراثهم على مر العصور .

وقد تأثرت قرطبة بالحضارة الاسلامية والطابع العربي اكثر من اي حضارة اخرى . فقد كانت قرطبة عاصمة الاندلس ومقر الحكم خلال عصور الحضارة الاسلامية الاندلسية ، وهذا هو اعظم ماوصلت اليه قرطبة عبر التاريخ .

ولاتزال بيوت قرطبة القديمة ذات الطابع العربي تستمد سر جمالها من التراث العربي الاسلامي الاندلسي . وتعكس صوراً من أسلوب الحياة الذي ساد في قرطبة قبل أكثر من الف عام . فذكرى الماضي مازالت حية داخل هذه المنازل الى يومنا هذا . . ولكن يصعب القول الى متى ستبقى هذه البيوت الجميلة . فعصرنا الحديث لايدع شيئا على حاله . . . ان تياره يجرف الجميل مع القبيح . وبينما يتحدث الناس اليوم عن عصر الفضاء والتقدم الصناعي . . . تظل بيوت قرطبة لتجمع الحاضر بتراث الماضي التليد .

حضارة الشرق العريقة

اكتشفت قبل عدة اعوام آثار بالقرب من مدينة اريحا في فلسطين تدل على قيام مدينة صغيرة ذات اسوار حجرية يعود تاريخها الى ماقبل عشرة الاف سنة . وتعتبر هذه الآثار من اقدم ماكتشف من ابنية سكنية الى يومنا هذا . ويتضح من اكتشاف هذه المنازل والاسوار الحجرية ان سكانها كانوا قد توصلوا الى درجة معينة من الحضارة تدل على أساليبهم في البناء والزراعة .

فهذا دليل على ان سكان هذا الجزء من شمال شبه الجزيرة العربية قد تحضروا قبل آلاف السنين وقبل بناء الاهرامات في مصر بما لايقل عن خمسة الاف سنة . وهذا دليل على عمق جذور حضارة المنطقة . فكل مانعرفه اليوم عن تلك العصور القديمة انما يعتبر جزءا مما دفنه الزمن تحت طبقات هذه التربة العريقة .

ان حضارات العراق وسوريا القديمة (وضمنها فلسطين ولبنان) وبالاضافة الى حضارة اليمن ، كلّها تمتد جذورها في اعماق التاريخ وتنتمي الى الأصل نفسه . فقد نمت تلك البلاد وتطورت وشيدت بها المدن وتوصلت الى مستوى حضاري وافرزت ثروة فنية ومعمارية منذ اقدم العصور .

وكان الكنعانيون « الفنيقيون » وموطنهم ساحل لبنان ، من أشهر هذه القبائل العربية القديمة عند شعوب الغرب في تلك العصور . . . بسبب اسفارهم البحرية وتجارتهم الواسعة واتصالهم بمناطق كثيرة من افريقيا واوروبا وبخاصة في حوض البحر الابيض المتوسط . وقد كانت علاقتهم بشبه الجزيرة الايبيرية وسكانها قوية جدا خلال قرون طويلة . فقد عبروا مضيق جبل طارق ووصلوا الى المحيط الاطلسي بقصد التجارة والبحث عن المعادن وغيرها من المواد اللازمة في تلك العصور .

وقد قام القرطاجيون - وهم احفاد « الفنيقيين » - الذين استقروا في قرطاج (تونس) بالدور الحضاري نفسه . فامتدت حضارتهم وسلطتهم الى جزء كبير من شبه الجزيرة الايبيرية فيما بعد . وعن طريق التجارة انتشرت حضارة الشرق على يد

« الفنيقيين » في أنحاء كثيرة من سواحل البحر الابيض المتوسط وبالتالي تسربت الى بلاد اخرى والى اوروبا على وجه الخصوص .

وتدليلا علـى ذلك فان الكنعانيين هم الذين اخترعوا الاحـرف الابجدية قبل الاف السنين والتي تستعملها الآن شعوب العالم المتحضرة . وهذا مجرد مثال واحد لما أدّوه للبشريـة .

واستمرت عصور الحضارة في منطقة الشرق الاوسط عبر التاريخ تتخللها فتـرات انهيار بعد ازدهار الى مطلع القرن السابع عندما اشرق نور الاسلام وانتشر بسرعة في كثير من البلاد وفي خلال فترة وجيزة ازدهرت الحضارة الاسلامية في أنحاء كثيرة من العالم ووصلت الى مستوى لم تصله اي حضارة اخرى . فتوسعت التجارة وتطورت العلوم .

فعلم الرياضيات مثلا المعروف في عصرنا الحاضر ، هو نتيجة جهود العلماء المسلمين في تلك المرحلة من التاريخ .

وقد اسهمت الحضارة الاسلامية بفنون البناء والمعمار . وتطورت الاساليب القديمة واضيف اليها كثير من العناصر الجديدة . واصبحت هذه الفنـون المعمارية جزءاً من الحياة الاجتماعية الاسلامية وتراثها .

فقد شيدت كثير من المدن والمساجـد والمبانـي المختلفـة طوال عصـور الحضـارة الاسلاميـة . وتحسنت أحوال المدن القديمة وتوسعت وانتشرت بها حركة عمرانية متطورة ومستمرة . فان قرطبة ومدناً اسلامية اخرى تحولت الى مدن شهيرة بجمالها وجاذبيتها .

البيـوت العـربيـــة :

ان البيت الشرقي الذي يتوسطه فناء . . . هو طابع البناء العربـي منذ الاف السنين . فقد بنيت هذه البيوت العربية بهذا الطراز من الطين او الآجر او الحجر على مر العصور . ولهذا الطابع مزايا حياتية بالاضافة الى جماله . فانه يتلاءم مع البيئة وله خواص عملية نافعة . وقد انتشر هذا الطابع بانتشار الحضارة الاسلامية التي شملت المنطقة الممتدة من الهنـد شرقا الى الاندلس غربـا .

الاندلس

الاندلس - هي التسمية العربية لجميع اراضي شبه الجزيرة الايبيرية التي كانت تحت الحكم الاسلامي منذ عام ٧١١ بعد الميلاد الى ١٤٩٢ عند سقوط غرناطة من يد المسلمين كآخر امارة اسلامية في الغرب .

وقد كانت السيطرة على هذه المناطق المختلفة تمتد وتتقلص حسب الظروف السياسية والحربية . وكانت اراضي الاندلس عند اقصى امتداد لنفوذها ، تشمل جميع مناطق شبه الجزيرة (اسبانيا والبرتغال) . . . بالاضافة الى جزر البليار . ماعدا المناطق الجبلية في أقصى شمال شبه الجزيرة .

كانت شبه الجزيرة الايبيريه خلال القرون الطويلة التي سبقت اكتشاف اميركا تعتبر أقصى الغرب ، خصوصا لشعوب حوض البحر الابيض المتوسط . فقد هاجر اليها كثير من القبائل والشعوب المختلفة من الشرق الأوسط وشمال افريقيا واوروبا عبر التاريخ ، فاستقروا بها واسسوا أوطانا وحضارات مختلفة على مر العصور . وقد أدّى هذا الى انصهار هذه الاجناس البشرية بعضها ببعض فامتزجت وكونت شعوبا جديدة .

والقبائل الايبيرية . . . هي احدى هذه الشعوب التي نزحت من الشرق وتنقلت عبر شمال افريقيا على مر العصور ، ثم استقرت في شبه الجزيرة التي حملت اسمهم فيما بعد . « والفنيقيون » . . . وهم القبائل الكنعانية العربية . جاءوا من سواحل لبنان على متن سفنهم الشراعية قبل اكثر من ثلاثة الاف سنة ، وكانوا على اتصال باراضي شبه الجزيرة الايبيرية وسكانها . وقد أسس الفنيقيون عدة موانيء ومراكز تجارية في المنطقة ومناطق اخرى في حوض البحر الابيض المتوسط . وكانوا يقصدون بأسفارهم البحرية التجارة والبحث عن مناجم المعادن ونشروا حضارتهم في جميع المناطق التي اتصلوا بها . وكذلك فعل أحفادهم القرطاجيون الذين اسسوا عاصمتهم في قرطاج (تونس) وامتد نفوذهم الى سواحل شبه الجزيرة الايبيرية وتصدروا الحضارة قبل اكثر من الفين ومائتي عام .

« لقد تأثرت شبه الجزيرة الايبيرية بحضارة الشرق قبل وصول العرب (المسلمين) بكثير . فمنذ سنة ١١٠٠ قبل الميلاد بالتقريب ، جاءها الفنيقيون

بقصد التجارة . فقد اسس هذا الشعب العريق الذي جاء من ساحل لبنـان. مدينة قادش (في جنوب اسبانيا) المشهورة بأنها أقدم مدينة في أوروبا التي لم يتغير اسمها عبر التاريخ واستمرارها مأهوله طوال هذه القرون الى يومنا هذا بدون انقطـاع » ١ .*

وقادش . . . هي احـدى الموانـيء والمدن العـديدة التـي اسسهـا الفنيقيون والقرطاجيون . وقد سميت بهذا الاسم مثلا على اسم وادي نهر في لبنـان يسمى قادش كان مقدسا في تلك العصور .

وهكذا استمرت عملية الحركة والتنقل والاستقرار على مدى العصور باستمرار الحيـاة والتفاعلات البشرية . وقد جائت قبائل اخرى الى هذه المنطقة على فترات متتالية عبر التاريخ . فمنها مثلاً . . قبائل تسمى « سلت » ، وهي اوروبية جاءت من الشمال واستقرت في المناطق الشمالية من شبه الجريرة . وكذلك فعلت قبائل جرمانية مختلفة وهي القبائل المعروفة بالقوط البرابرة لوحشيتها . وقد وصل الاغريق ثم الرومـان الى المناطق الشرقية من البلاد وبخاصة المناطق الساحلية منها .

وفي عام ٧١١ بعد الميلاد ، فتح المسلمون الاندلس بعد أن هزموا جيوش وحكام القوط الذين أذاقوا أهالي هذه البـلاد الذل والهوان لمدة قرون طويلة . وبعد هذا الفتح نشأت في الاندلس حضارة اسلامية لم يكن لها أي مثيل في اوروبا . وكان لها دور عظيم في نقل أساليب الحضارة والتمدن الى المجتمعات الاوروبية الاخرى فيما بعد . « واصبحـت الاندلس بمثابة الجسر الاهم لانتقال حضارة الشرق العريقة الى الغـرب . ومـع ان الاندلس كانت دولة مستقلة خلال العصور الاسلامية . . فانها لم تكن معزولة عن بقية البلدان كالامم الاخرى » . ٢ وهكذا يكون من الواضح ان علاقـة العـرب بارض الاندلس لها جذور عميقة تمتـد الى العصور القديمة من التاريخ . ومن الواضح ان أصل بعض سكان المنطقـة يرتبط بهذه الجذور التاريخيه .

والجديـر بالذكر ايضاً ان أعداد المسلمين الذين قدموا الى الاندلس عند الفتـح وبعده لم يتجاوز بضعة آلاف وكان اختيار أهل البلاد للاسلام كدين وبأعداد كانت تتزايد مع مرور الزمن ، هو العامل الذي أدى الى كون المسلمين أغلبية وتحول المجتمع الى مجتمع عربي اسلامي . ويقال ان عدد سكان الاندلس بلغ ثمانية عشر مليونا خلال عصور ازدهار الحضارة الاسلامية الاندلسية . ولذلك نستطيع القول ان حضارة الاندلس بناها أبنـاء البـلاد بأيدهم وجهدهم تحت رعاية العـرب والاسـلام وعملـوا لتطويرهـا وازدهارهـا .

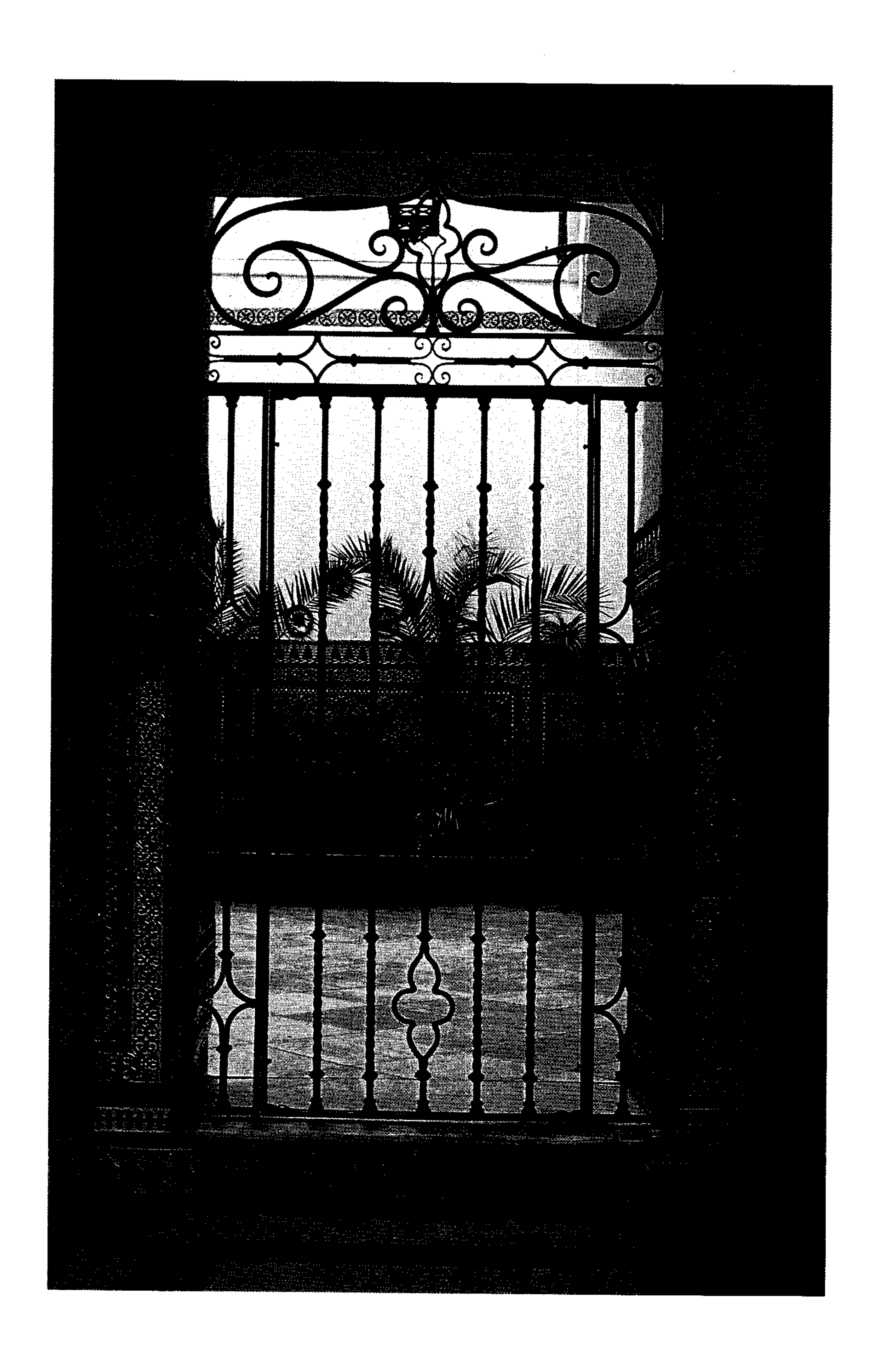
* المصدر مبينه باللغه الانجليزيه

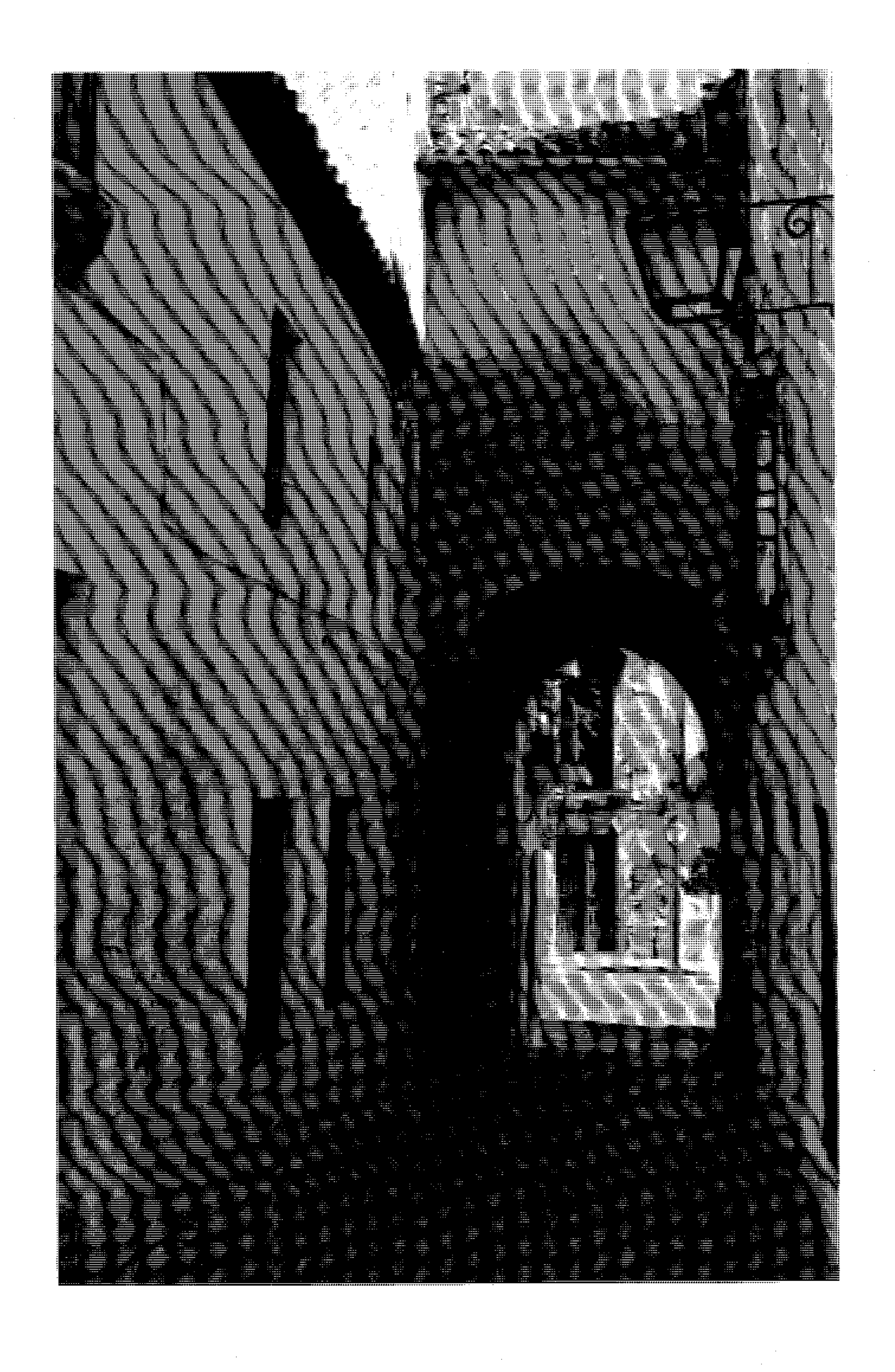
لقد أعجب كثير من المؤرخين بجمال الاندلس وحضارتها . . فسجلوا تاريخها بالتفصيل ، فان الادب العربي وكذلك التاريخ العربي مليئان بالاعمال الادبية ، مما يتعلق بالتراث الاندلسي . « فلقد شرع كثير من الكتاب في ذكر مزايا الاندلس ووصف جمال طبيعتها . فذكروا طيبة أرضها وجبالها وأنهارها وأوديتها وخيراتها وثمارها وخضرواتها وجد اول مياهها العذبة وكرومها . وكذلك سكانها وصفاتهم واخلاقهم ودينهم وعاداتهم وبخاصة علماؤها وادباؤها ، ثم مدنها بما فيها من قصور ومنتزهات وحدائق وجسور وطرقات وحمامات ومساجد ومبان واملاك وما الى ذلك » . ٣

لقد استمدت حضارة الاندلس العناصر الاساسية لتكوينها وازدهارها من التراث الاسلامي الشرقي الغني بكل مقومات الحضارة العريقة . ويعتبر هذا التراث الحضاري العظيم حصيلة تجارب اجيال متتابعة اثمرت حضارة رائعة . « وتكونت النظم وأساليب الحياة الاجتماعية والفكرية الاسلامية في الاندلس على الاسس السارية في المشرق العربي . فان تأثير الشرق واضح في التنظيم السياسي ومعاملة الاقليات والاساليب الزراعية والاقتصادية والفنون والعمارة ، والعادات والتقاليد وأهم من هذا كله الاعمال الفكرية باللغة العربية التي تعدت الحواجز الاجتماعية والدينية متأثرة تأثراً عميقا بالفكر الاسلامي» ٤ .

واشتهرت مدن الاندلس شهرة واسعة ، وبالاخص خلال القرن العاشر الميلادي فكل مدينة - كقرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطة ، كانت تتميز بطابع جمالي خاص . . وجميعها تشترك بجمال الطابع الاندلسي . ومنازل هذه المدن ومبانيها تعكس ذوق سكانها في حياتهم وحبهم للبساطة والجمال والاساليب التي رسخت في تراث مجتمعهم .

«لقد كون الاندلسيون مجتمعا مدنيا راقيا ، ومع ذلك كان حبهم للطبيعة وجمالها شديدا . . . فهذه الصفات واضحة تماما في فنونهم ومبانيهم » . ٥





قرطبة

ان لمدينة قرطبة طابعا خاصا بها ، مما يجعلها فريدة بين المدن الاخرى . وكذلك دورها التاريخي في مجال التطور الحضاري - هذا الدور الذي كان له اهمية بالغة بنقل الحضارة الى أوروبا . ويدرك كثير من العرب أهمية هذا الدور . . ولكن مؤرخي الغرب يجهلون أو يتجاهلون مكانة قرطبة ودورها الحقيقي في التاريخ كجسر لانتقال العلوم والفنون والاداب الى مناطق كثيرة من اوروبا ، مما ادى الى تطور البلاد الغربية فيما بعد . ويحاولون ان يغيروا هذه الحقائق التاريخية . . فيزعمون ان مصدر الحضارة الغربية هو عصور النهضة في ايطاليا في القرن الرابع عشر. وقد سرت هذه الادعاءات وكأنها حقائق تاريخية يصدقها كثير من الناس دون تدقيق أو تمعن في تطور مراحل التاريخ . بينما تؤكد الحقائق ان الاندلس وعاصمتها قرطبة هي مصدر هذا التطور الحضاري في الغرب بعد انتشار الحضارة الاسلامية في اراضيها .

ان جميع العلوم على اختلافها والطب والاداب وغيرها كانت معروفة في الاندلس قبل أي مكان آخر في اوروبا . وبعد سقوط طليطلة من يد المسلمين ، بدأت فيها عملية مستمرة لترجمة المؤلفات العربية دامت مالايقل عن ثلاثة قرون ابتداءاً من القرن الثاني عشر . وكانت هذه هي المرحلة التاريخية المهمة التي أدت فيما بعد الى انتشار مختلف العلوم والاداب والفنون في البلاد الاوروبية الاخرى .

ومما يدل على اهمية العلوم والاداب والفنون في الاندلس ، انّ الخليفة الحكم الثاني الذي دام حكمه من ٩٦١ الى ٩٧٦ بعد الميلاد احتفظ بأكثر من اربعمائة الف كتاب بمكتبته الخاصة في قرطبة . وكان كثيراً مايرسل بعض المبعوثين الى المدن العربية الاخرى كالاسكندرية ودمشق وبغداد للبحث عن الكتب القيمة النادرة واحضارها الى الاندلس . وقد كان الاندلسيون انفسهم يهتمون بالعلم والثقافة ، فنبغ كثير منهم في مختلف النواحي العلمية والادبية والفنية - وساهموا في تطور الحضارة الانسانية وتقدم البشرية .

ادى هذا الاهتمام من قِبل الحكام والسكان بالعلم والمعرفة الى تقدم البلاد وأزدهارها فتحسنت احوال الناس وتطورت الحياة بمختلف نواحيها الى الافضل . فنهضت قرطبة وازدهرت وازداد عدد سكانها وكبر حجمها وتوسعت . « عندما بلغت قرطبة قمة مجدها خلال القرن العاشر الميلادي . . . كان عدد سكانها اكثر من مليون نسمة وكان يحيط بها كثير من القرى والضياع على امتداد أراضي الوادي الكبير الخصبة » . ٦

وهنا لابد ان نقف لذكر ذلك الرجل الذي كان له دور تاريخي في غاية الاهمية والذي أرسى أسس الحضارة في الاندلس وعمل طوال حياته لتحويل قرطبة الى عاصمة عظيمة ذات مكانة انه الأمير عبد الرحمن الأول من بني أمية . فقد كافح بكل جهده وطاقته لتكوين سلطة قوية في الأندلس ولتطوير البلاد وبناء قرطبة لتكون مقر الحكم والسلطة . ومن البديهي انه لولا هذا الدور التاريخي لكان تاريخ الاندلس وعاصمتها قرطبة مختلفا تمام الاختلاف .

لقد جاء به القدر من الشام في ريعان شبابه بعد سقوط الحكم الاموي في دمشق على يد العباسيين . فهرب واستقر في الاندلس بعد سنوات من حياة التستر والتخفي ، وبمساعدة كثير من أصدقائه وأعوانه ، توصل الى الحكم في الاندلس واتخذ قرطبة عاصمة للبلاد . وكان الحكم من قبله ضعيفا والبلاد غير مستقرة . فعمل على تقوية الحكم واستقلال وتقدم البلاد ووحدتها . . . واصبح قدوة لمن جاء بعده في الحكم من ابنائه واحفاده . ويبدو انه اراد ان يجعل من قرطبة عاصمة كبرى كدمشق من حيث الاهمية والحضارة . فنهضت البلاد في عهده وكثر البناء والتطور ، وكان له دور مهم في ادخال الطراز المعماري الاموي الذي كان سائدا في بلاد الشام الى الاندلس . ويعتبر جامع قرطبة الكبير من اهم اعماله المعمارية . كما انه ادخل الى ارض الاندلس كثيرا من الاشجار وانواعا مختلفة من النباتات التي كان يطلب احضارها من الشرق لتنمية موارد الاندلس الزراعية . وقد شجع العلم والعلماء . . . . . فكان قدومه الى هذه البلاد في غاية الاهمية لنهضتها وتطورها الحضاري .

في البداية كان بنو امية يسكنون في المدينة نفسها ، وبنوا قصراً آخر خارج قرطبة يسمى (الرصافة) . « وقد سمي بهذا الاسم نسبة الى قصر بناه جد الامير عبد الرحمن الاول في ضواحي دمشق . وبعد ان تطورت قرطبة وتوسعت ، قرر الامير عبد الرحمن الثالث انشاء قصر كبير كمدينة خاصة على بعد ثلاثة اميال الى الغرب من عاصمته عند سفح جبال سييرا مورينا » ٧

سمي هذا المقر الجديد « المدينة الزهراء » ، ويدل هذا على ماوصلت اليه قرطبة من عظمة واتساع وازدهار خلال القرن العاشر الميلادي . فقد كان هذا المقر عبارة عن مدينة كاملة مصغرة تضم قصور وحدائق الامراء والوزراء ومختلف المباني الحكومية

والعسكريـة بالاضافة الى جميع ماتحتاجه المنطقة وسكانها من محلات تجارية وغيرها الى درجة انها احتوت على اراض خاصة للانتاج الزراعي . وقد أنشئت المدينة الزهـراء في أوائل القرن العاشر ، اي قبل بناء قصر الحمـراء في غرناطة بثلاثة قرون - وكانـت مساحتها اكبر من مساحة اراضي قصـر الحمـراء باربعة اضعاف ، اما اليوم فلم يبق منها الاّ الاطلال .

ويقول احد كتاب الغرب اليوم « ان قرطبـة ولّـدت مجتمعا انسجمت فيه عناصره باسلوب يندر ان يحدث في مجتمعات اخرى . فقد كانت طبقاته المختلفة تعيش على مستوى معين من الحياة لم يعشه مجتمع آخر في اوروبا الغربية من قبل أو من بعد»٨ .

وهذه العبارة تكفي لأن توضح عظمة الاندلس وحضارتها الفريدة . ولاعجب ان كلتا الكلمتين « اوج » و« السمت » بمعنى أقصى علو ، انتقلتا من اللغة العربيـة الى بعض اللغات الاوروبية للتعبير عن العظمـة (Zenith, Cenit, Auge) .

ويذكر بعض المؤرخين ان قرطبـة احتوت على«١٦٠٠ مسجـد ، و ٩٠٠ حمـام و ٢١٣٫٠٧٧ منزلا لسكانها ، و ٦٠٫٣٠٠ منزل فخم لكبار العائـلات ، و ٨٠٫٤٥٥ من المحلات التجارية » . ٩ ويعتقـد البعض بأن هذه الاعداد قد يكون بها شيء من المبالغة . « ولكن وان كان بها شيء من المبالغـة . . فالمهم انها تعطي فكرة عن درجة التطور والنشاط في الحياة المدنية تحت الحكم الاسلامي » ١٠ .

وحتى نستطيع أن نتصور أو نتخيل شكل قرطبة وماكانت عليه في تلك العصور علينا أن نتعرف على الملامح الرئيسية وتصميم المـدن الاسلامية وكيانها . وهذا ماقاله تيتوس بورخارت أحد المتخصصـين الاوروبيين في الفنون الاسلامية يصف لنا المدينة الاسلامية فيقول « ان السوق عادة هو مركز المدينة . وهو عبـارة عن شبكة من الطرقات الضيقة وعلى جانبها الدكاكين والمحـلات التجارية . وبالاضافـة الى النشاط التجاري . . تضم هذه الاسواق محلات للحرف التقليدية والصناعات الخفيفة ، كل منها في سوق خاص . وتحيط هذه الاسواق بالجامع الرئيسي في المدينة او تكون بالقرب منه . وتوجـد بعض الطرقات التي تكون اوسع قليلا والتي تمتد بين بوابات سور المدينة والاسواق في الوسط . وتحيط المنازل بمنطقة السوق وتمتد حتى اسوار المدينة . وتبنى هذه البيوت حسب حاجة كل عائلـة . . . ويدخلها الهواء والنور من افنيتها المكشوفة التي قد تشمـل على حدائق مسورة ان كانت واسعة المساحة » ١١ .

تنمو المدن الاسلامية بشكل طبيعي . ولهذا النمو صفات تجعل منه نموا ذا طابع

خاص فيه شيء من الحرية خاليا من اي تعقيد او تقييد . وهذا هو احد اسرار نجاح هذا الطابع المميز وارتياح الناس لمزاياه . وهو عكس الاسلوب المتبع في البلاد الغربية حديثا ، والذي بدأ بالانتشار في مختلف البلاد الاخرى ومنها الاسلامية فالتخطيط الغربي عبارة عن خطوط مستقيمة تلتزم بالاتجاهات الاربعة وتتقيد بها وتحول نظام الحياة الى شيء اشبه بالنظام العسكري القاسي .

وقد شبه تيتوس المدينة بالجسم « فالجامع في الوسط هو كالقلب في جسم المدينة ... والسوق وطرقاته كأعضاء الجسم تمده بالغذاء . . . بينما تقوم افنية المنازل وحدائقها بدور الرئتين » ١٢ .

ولكن وللأسف تغيرت الاوضاع تحت تأثير التطوير الحديث في كثير من المدن الاسلامية اليوم ، وسادت الفوضى وكثر التلوث (الهواء والماء) والازعاج ، وتهدم التوازن الذي كان اساس كيانها في الماضي .

كانت هذه المدن الاسلامية مهيأة لحياة اجتماعية متكاملة وهنيئة . ويجدر بنا ان نحاول التعرف على اسلوب الحياة في الاندلس في العصور الاسلامية ومستواه . ومما لاشك فيه ان الطبقات العليا من المجتمع كانت المثال الذي اقتدت به الطبقات الاخرى . يقول السيد انور شجنة وهو احد المتخصصين بتاريخ الاندلس « ان نبلاء الاندلس وطبقة الأغنياء كانت تعيش على مستوى رفيع من الرفاهية . فقد كانوا يتمتعون بحياة مدنية ينعمون في قصور ومنازل فخمة وحدائق وحمامات وبيوت ريفية . كانت قرطبة خلال القرن العاشر اكثر تطورا وازدهارا من أي مدينة أخرى في العالم الاسلامي وأوروبا . واعتبرت في ذلك الوقت كمثال وقدوة للتطور والبناء » ١٣ .

ويصف بعد ذلك منازلها ومختلف مبانيها الاخرى قائلا :

« ان بيوت الأغنياء كانت ذات طابقين وبها حدائق ومياه جارية . وكان من عادات بعض اصحاب هذه البيوت ان يخصصوا غرفة واسعة كمكتبة . كان للاشخاص ذوي الاهمية بيوت في الريف أو ضواحي المدينة تسمى الواحدة منها (منية) » ١٤ .

ثم يصف بعد ذلك الناس أنفسهم ومظهرهم في حياتهم اليومية فيقول : « واضافة الى هذا ، كانوا يعتنون بانفسهم ومظهرهم . فينتقون الملابس والحلي الرجالية والنسائية من تشكيلات كثيرة . وكانت النظافة اساسية في حياتهم اليومية فيغتسلون سواء في حمامات خاصة في منازل الأغنياء أو في الحمامات العامة التي كانت تشكل جزءاً من كل مدينة » ١٥ .

وكانت هذه العناية بالنظافة مستمدة من التعاليم الدينية الاسلامية التي لم تكن معروفة في أنحاء أوربا خلال تلك العصور . «فبينما كان سكان الاندلس يغتسلون ويحافظون على النظافة كعادة من عاداتهم الاساسية ، كان الاغتسال غير معروف وغير مرغوب به في اوروبا بل انه كان مكروهاً » ١٦ .

سقطت قرطبة من يد المسلمين في القرن الثالث عشر . وقد ادت عوامل كثيرة سياسية وحربية وتاريخية الى سقوط هذه المدينة العظيمة . ولم تنهض قرطبة قط بعد سقوطها في ايدي اعداء الاسلام . ومن الغرابة ان الذين يزعمون انهم « حرروها » هم انفسهم الذين حطموا عظمتها وعملوا على انحطاطها .

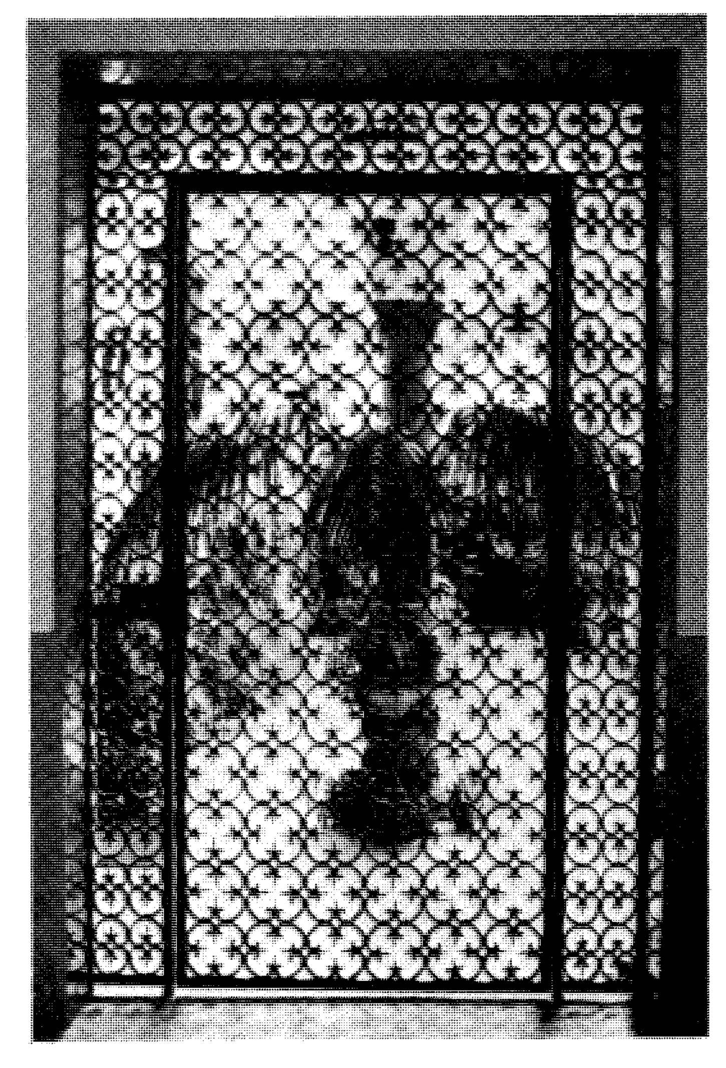
ومع ذلك مازالت بعض أجزاء من قرطبة وحتى اليوم ، تعكس الماضي . . . وكما يقول تيتوس بورخارت «مازالت بعض طرقاتها تصور الطابع القديم نفسه الذي كان يميز قرطبة طوال عصور الحكم الاسلامي . ولكن اليوم لامكان للثمانين الفا من المحلات التجارية والحرفية والمدارس التي انتشرت وكانت مفتوحة حتى لأطفال الفقراء لتلقي العلم وكذلك اختفت المكتبات ومحلات بيع الكتب . فلم يبق الا آثار قليلة من قصور الحكام والأمراء ومن مئات المساجد التي زينت قرطبة لم يبق الا الجامع الكبير الذي مازال قائما . فهو المسجد الاقدم والاكبر ، ولكنه اختلف اختلافا كبيرا عندما حوّل جزء منه الى كنيسة فأصبح من الصعب تصوّره بكل عظمته كما كان في الماضي » ١٧ .

ان قرطبة اليوم (في وقتنا الحاضر) مدينة متوسطة الحجم عدد سكانها حوالي ثلاثمائة الف نسمة . وتكثر بها المباني السكنية الحديثة التي انتشرت في كثير من احيائها . ومازالت بعض الاحياء القديمة تحافظ على الطابع العربي القديم الذي يحاول بعض المسؤولين المحافظة عليه ومنع اي بناء حديث لاينسجم مع هذا الطابع داخل هذه الاحياء .

ان شكل قرطبة اليوم لايختلف عن المدن الاخرى اذا نظرنا للمباني خارج الاحياء القديمة . فالمباني الاسمنتية الحديثة ترتفع على جانبي كل شارع والسيارات تملأ هذه الشوارع بالغازات والادخنة الكثيفة . فالفرق شاسع بين الاحياء القديمة والاحياء الجديدة . فالاولى هادئة وتوحي بالطمأنينة بينما الاخرى تكثر فيها الفوضى والازعاج .

ان موقع قرطبة الطبيعي يهيء المقومات اللازمة لأن تكون مدينة جميلة ومميزة فموقعها على ضفاف النهر وبالقرب من سلسلة جبلية تسمى «سييرا مورينا» اي الجبال السمراء بسبب لونها الداكن ، وتوفر المياه والمناخ المعتدل . . وتلك من المقومات الاولية . .

التي تكسب قرطبـة جمالا وجاذبية . . . كما كان حالها قبل الف عام . اما اليوم - مثـلا - يمر احد شوارع قرطبـة بضفاف النهر الذي تملأه السيارات والشاحنات بالادخنة فيتحول الهواء الى غازات كثيفة يصعب تنفسها ويصبح السير في تلك المنطقـة شاقا وعسيرا . بينما كان هذا الجزء من قرطبة في الماضي مليئا بالحدائق والقصور والمنتزهات المجاورة لضفاف النهر . وكان لهذه المنطقة شهرة بين الناس والشعراء لجمالهـا وطيب هوائهـا وطبيعتها . فهذا مثال يوضح الفرق الشاسع بين الماضي والحاضر وماكانت عليه قرطبـة وماآلت اليه . فاليوم تكثر المشكلات التي تحتاج الى حلول مستمدة من الوعي الكافي وعمق النظر والتفكير السليم حتى تستعيد قرطبة بعض مافقدت ، لتلهم عقول وقلوب اهلها وزوارها بجمالهـا الطبيعـي .



كتبت امرأة أجنبيـة مايلي في كتيب نشرته بعد زيارتها الى بعض المدن الاندلسية قبل ثمانين عاما تقريبا - وهذه ترجمة مبسطة لبعض فقرات مما كتبته عن قرطبـة وبه تخاطب القـارىء :

«توحـي قرطبـة بالهدوء . . . وهدوؤها هذا كأنه حلم خافت جميـل . وكذلك توحي بشعور ممزوج بشيء من الحـزن فهذا الشعور يأتي غير مقصود . يأتيك عندما تتجول في طرقاتها الضيقة او عندما تقف لرؤية منازلها ذات اللون الابيض المنخفضة غالبا . ومن بينها قد ترى بقايا من قصر قديم يحكي مجدا عظيما انقطع ، ولكن شعور يأتيك عندما تصل الى بوابـة قديمة تسمى « بوابـة المـدّور » . . بعد عبور شارع فسيح حديث . فهنا بقايا اسوار المدينة القديمـة . . . التـي تفصـل بـين الماضي والحاضر . وينظر الشخص الزائر الى هذه الحجارة التي تحن الى الماضي ، وهي بعض ماتبقى من اعمال عمرانية عظيمة . ثم يحول الزائر نظره الى المناظـر المحيطة بقرطبـة . فمن الشمال تطل سلسلة الجبال على المدينة وفي الجنوب تسيل مياه نهر الوادي الكبير فيفهم الزائـر سبب الاحساس الذي يئن ويشكو قسوة الدهـر ولايستطيع الصمت .

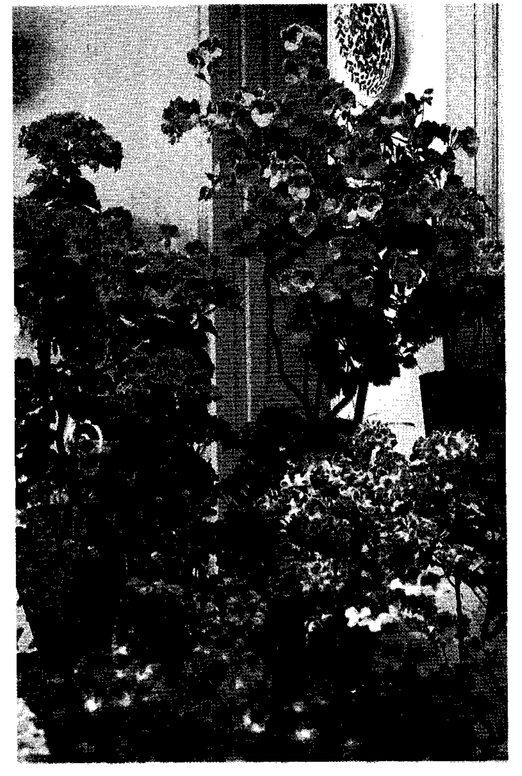
ان حرارة الشمس تتدفق كفيضانـات على كل منظـر . . . فتوضح خطوط المباني كشعلة من انعكسات الانـوار ، هنا وهناك في زجاج النوافذ وقرميد السطوح كالشعل حول الابراج العربية القديمة . . . وتنير الجدران البيضاء الى درجة شديدة من الوضوح . ويبدو الفضاء المحيط بكل شيء مستنيرا غنيا بالألوان الزاهية . . . فالسماء زرقاء صافية ، والأرض ترتعش من الدفء ، فهنا سترى قرطبة في صورة تطبع نفسها بمخيلتك الى الابـد .

بينما تتريث لتنظر الى هذا كله ، تتملكك روح الماضـي . فتراقب الألوان النقية امامك . . . وفجأة تدب الحياة في الذكريات النائمـة تحت صمت المدينة وتستيقظ الطرقات لافراح من الماضي . . . وتبرز في مخيلتك صورة قرطبـة في القرن العاشر عندما كانت تسمى « عروس الاندلس » - قرطبة الماضي التي تأنس لذكراها النفس . ولمدة لحظات ، تسيطر على ذاكرتك عظمة قرطبـة وتاريخها ودورها الخالـد ، ان اكثر من نصف الاعجاب في الاندلس اليوم ينبع من ذكرى الماضي والخيال وليس ماتراه العين فقط .

وتتكون امامك مدينة جديدة في الخيـال ، وببطىء تتكامل صورتها - مدينة كالحلم تمتد بين الجبل والنهـر ، وبها همسات الميـاه تأتي من جهة وصمت الجبال من الجهة الأخرى . مدينة ذات ثروة وجمـال ومجد وعلم بعثت مآثـر تراثها وحضارتها كقطرات الغيث على اليابسة » ١٨ .








بيوت قرطبة

انه لمن حسن الحظ ان تبقى بيوت قرطبة العربية ماثلة الى يومنا هذا . وان كانت اغلب احياء قرطبة قد تحولت وتغيرت بمرور الزمن دون اي اعتبار لطابع قرطبة التاريخي فما تبقى اليوم والجزء المهم منه . . . هو الحي الذي يحيط بالجامع الكبير . وانه لمن المؤسف ان يختفي هذا الطابع الجميل من المدن الاندلسية الاخرى كأشبيلية وغرناطة ومالقه . ان التراث الاندلسي سيندثر جزء منه ان اختفت هذه البيوت من الوجود .

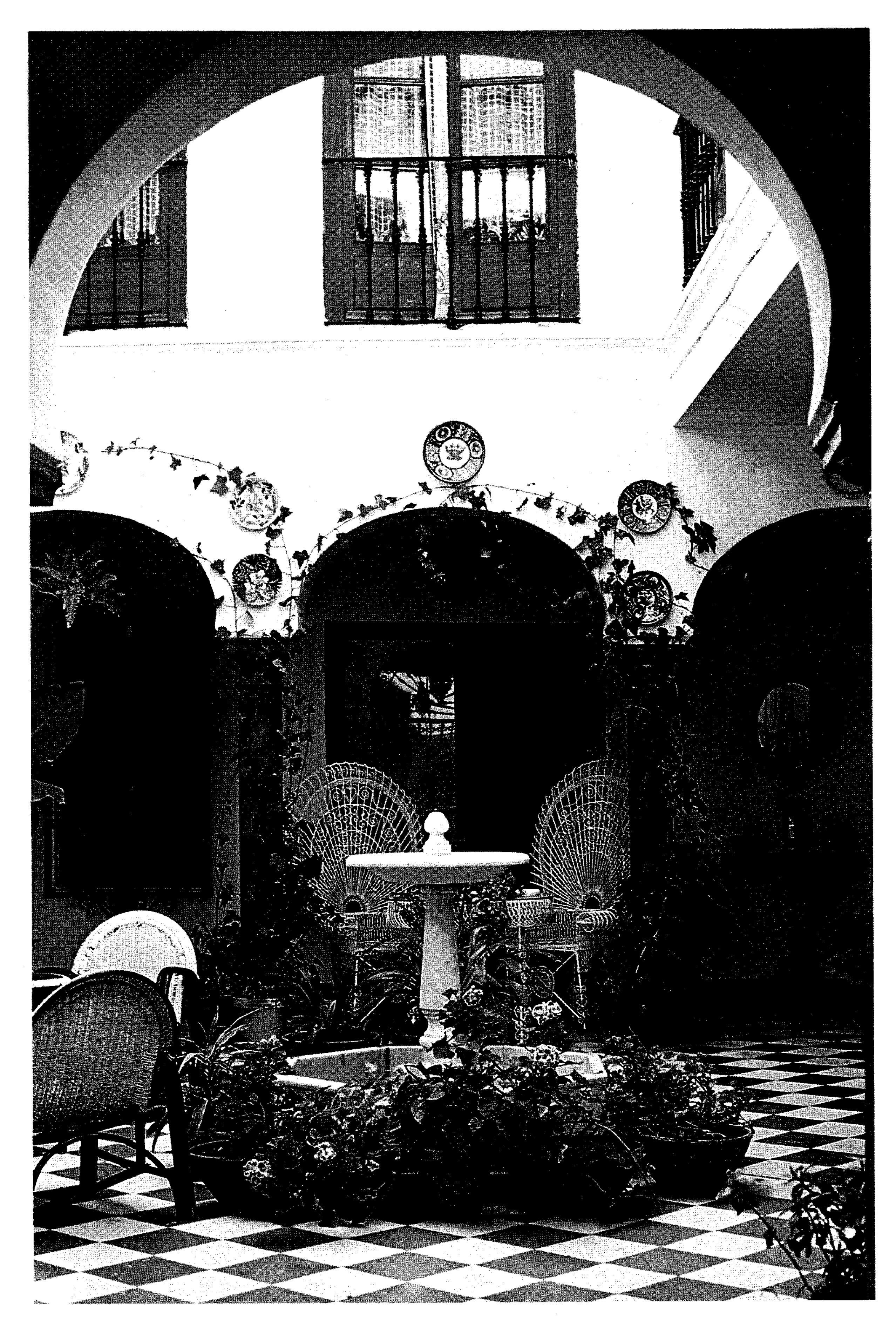
ان تراثا كهذا - هو مستمد من عصور حضارية مهمة مضى عليها اكثر من الف عام تزيد اهميتها التاريخية بمرور الزمن . ولذلك يجب المحافظة على هذا التراث والعناية به ليستمر على مر السنين - وبخاصة في زمننا هذا .

ان بيوت قرطبة العربية فريدة من نوعها . انها جميلة ولها جاذبية خاصة بها . انها تعتبر كالكنز الثمين لقرطبة واهلها . وقد نتساءل . . ماهي اسباب جمال هذه البيوت ؟ . وماهي اسرار هذا الجمال وهذا الانجذاب ؟ لماذا يعجب الناس ومن مختلف البلاد الاخرى بهذه البيوت المتواضعة والبسيطة ؟ .

ليس السبب فقط لان طابع هذه المنازل يختلف عن المباني في البلاد الاخرى . ان الاسباب لكثيرة ويسهل فهمها عند التعرف على النواحي المتعلقة بهذا الطراز من البناء . ان هذا الطابع الشرقي يوحي بالطمأنينة والراحة ويوحي بالانشراح والصفاء . ان النفس البشرية تشعر بارتياح لهذا النوع من المسكن ، وتنسجم المشاعر الانسانية مع الهدوء داخل هذا المكان المتواضع . فهذا الطابع يولّد شعورا بالتوازن واحساسا بالسكينة الى درجة لاتتوفر في مبان ذات طابع آخر .

ان هذه الامور ضرورية في حياة البشر وداخل كل بيت ويشعر الفرد مباشرة بهذا الاحساس عندما يدخل المسكن . هذا هو احد اسرار جمال بيوت قرطبة العربية .

فالبيت العربي القرطبي بلونه الابيض . . . يبدو نظيف المظهر . . . وهو يعكس عناية اصحابه به ، وينسجم مع البيوت الاخرى المجاورة ذات الطابع نفسه . في داخله تحيط حجراته بفناء في الوسط من عدة جهات ، وهو مليء بالزهور ذات الالوان الجميلة والنباتات الخضراء المختلفة ، ويملأه النور بالحياة .





تطور هذا الطابع الاندلسي من الاصل العربي القديم الذي انتشر في كثير من البلاد العربية والاسلامية . فهذا الاسلوب والطراز من البناء ، يلائم هذه البلاد من ناحية المناخ والبيئة بالاضافة الى النواحي الاجتماعية والاقتصادية وحتى النفسية منها .

وبما ان هذا الطابع جاء من بلاد العرب في الماضي . . . فان من الضروري فهم مميزاته وخصائصه المستمدة من اساليب البناء العربي بعد التعرف على النواحي المتعلقة بالبناء العربي نفسه .

يقول السيد حسن فتحي . . . وهو احد كبار المتخصصين في مجال العمارة العربية : « ان البيت عبارة عن مربع مجوف من الداخل تطل حجراته على الفناء في الوسط ، ومنه يمكن رؤية السماء . فيكون هذا الحيز كأنه قطعة من السماء يملكها اهل البيت . وكونه محاطا بحجرات المنزل يبعث الشعور بالسكينة والأمن الى درجة لايوفرها اي اسلوب معماري آخر . فكأن السماء تنزل الى البيت وتبعث فيه من روحها على الدوام » ١٩ .

هذه احدى النواحي التي تأنس لها النفس في هذه البيوت .

ان فناء البيت من الداخل هو المركز الذي يمتلئ بالنور الطبيعي المنبثق من أشعة الشمس ، فتدب بداخله الحياة ويؤثر جوه على النفس فتتفاعل مع المشاعر برقة يشعر بها الفرد بطريقة مباشرة او غير مباشرة احيانا . هذه هي احدى الصفات المميزة والاساسية لهذا النوع من المساكن . ويشرح السيد حسن فتحي اهمية علاقة المكان بالشعور فيقول : « ان المكان المحدد سواء كان غرفة او فناء في وسط البيت . . . له صفة معينة محسوسة . فكل حيز له أثر في النفس نابع من طبيعة تكوينه . وهذه ناحية بديهية في كل حيز ولها أهمية اساسية في فن البناء . فاذا فقد المكان الايحاء بالراحة النفسية ، فلن تفيد اي محاولة لتزيينه وتغطية هذا النقص في تكوينه » ٢٠ .

ولهذا السبب . . فالانسان له قدرة حسية فطرية تشعره بطبيعة المكان فيشعر اما بالارتياح او بالنفور منه . وبشكل عام ، فان طابع البيت العربي مؤنس للنفس . . . «فالصفاء الذي ينبع من داخل صحن المنزل ليس شيئا من الخيال او مجرد رمز من الرموز وانما هو حقيقة واقعية محسوسة » ٢١ .

ويوضح السيد حسن فتحي النواحي النفسية المهمة التي تتعلق بالمسكن العربي قائلا : « ان المنزل العربي يطل على داخله مفتوحا لسكينة السماء فيه عزلة وأمان تضيف الى جماله المياه الجارية (ان وجدت) . فالغرض منه هو توفير المكان الملائم

للراحة من عناء العمل . فتسميته سكن بالعربية ، بمعنى منزل . فمصدرها كلمة سكينة ومعناه أمن وقدسية . بينما كلمة «حريم» وهي تعني نساء ، فهي مشتقة من كلمة حرم اي مقدس وتعبر عن حرمة الجزء الخاص بالحياة العائلية داخل المسكن العربي» ٢٢.

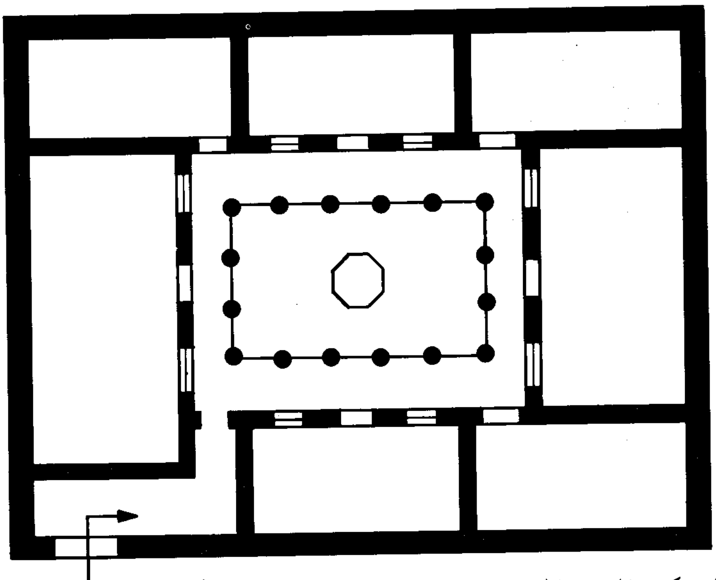
هذه هي بعض النواحي الاساسية التي تهيء المسكن للراحة . . ليس فقط للراحة الجسمانية وانما الراحة النفسية المهمة في تكوين البيت . فأهميتها تتعدى مظهر المنزل الخارجي . . ولها علاقة مباشرة واساسية بمقتضيات الحياة اليومية وتوفير المكان الملائم للحياة العائلية السليمة . ان فناء المنزل يعتبر مكانا بسيطا للغاية من الناحية المعمارية «ولكنه بنظر الانسان العربي خاصه ، ليس مجرد استنباط معماري للعزلة والوقاية . انما هو كالقبة التي تمثل باستدارتها النظام الكوني » ٢٣ .

لقد وصف عدة كتّاب هذه البيوت التي تكثر في البلاد العربية ، ووصفوا اثاثها المستعمل وشكلها الداخلي . . وبينوا بعض الاختلافات الثانوية في هذا الطراز من البيوت ، ولكن الصفات الاولية لها فهي بلاشك مشتركة . وهنا نعرض ماكتبه احد كتاب الغرب المعجبين بالتراث العربي والذين يجدون به جمالا مميزاً . . فيقول واصفا البيت العربي في شمال افريقيا الذي كان شبيها ببيوت الاندلس .

« ان مدخل المنزل عبارة عن ممر ضيق (دهليز) ذي سقف مقبب يؤدي الى فناء كبير في الداخل . وهنا نجد مكانا كالحديقة بلاطها من الرخام وفي وسطها نافورة ماء تحيط بها أشجار مختلفة من برتقال وليمون ورمان ، بالاضافة الى شجيرات صغيرة لها روائح زكية (كالياسمين) تملأ جو المنزل بالروائح الطيبة التي تفوح من أزهارها وثمارها . وتحيط بكل هذا غرف المنزل الخاصة بالمعيشة .

والحجرة الرئيسية - غالبا مايكون سقفها عاليا وأرضيتها مبلطة وتقسم الى ثلاثة أقسام وفي وسطها نافورة ماء صغيرة من الرخام لها ثمانية اضلاع . وأهم مافي هذه الحجرة هو المقعد الذي يمتد على كل جوانبها وتغطي مفروشاته أنسجة حريرية مطرزة بخيوط فضية وذهبية . وبقية الأثاث عبارة عن مقاعد وطاولات صغيرة محفورة ومرصعه بقطع صغيرة من الصدف . وتستعمل قطع الخزف الصيني ومختلف الأدوات الفضية وأكواب للقهوة وبصحونها نقوش رفيعه وكذلك المباخر التي تحفظ في فجوات في الحائط السميك ومغطاة بالسيراميك الفارسي .

هذا هو المسكن المفضل عند المسلم . مكان ملئ بالهواء خفيف البرودة ، المعطر بالروائح الطيبة ، يدخله النور خفيفا من زجاج ملون ، ويخيم عليه هدوء يتخلله خرير الماء من النافورة في وسط البيت .



اما شكل المنزل الخارجي . فانه عادي جدا ، كأنه قطعة ضخمة من الحجر الأبيض يعلوه السطح . ويدخل النور الى حجرات البيت من الفناء الذي تحيط به عقود الاعمدة التي تحمل الطوابق العليا » ٢٤ .

ويذكر كاتب آخر وصفا مشابها يتعرض به لبعض النواحي الاساسية في البيت العربي فيقول :

« ان البيت الاندلسي الذي مازال موجودا الى يومنا هذا له صلة وثيقة بطابع المنازل المغربية التي لاتزال موجودة في بعض المدن مثل مدينة فاس المغربية المعروفة . ومن صفاته العامة انه بسيط جدا بشكله الخارجي ، وله باب كبير وممر متعرج الى الداخل يؤدي الى فناء صغير قد يكون مبلطا بالحجارة او الرخام في بعض الحالات . . وتغطية قطع من النسيج السميك او كرمة عنب لحمايته من الشمس . وتفتح أبواب الغرف نحو الفناء وبداخل بعض الحجرات الكبيرة قسم مرتفع قليلا على طرفين منها تحجزه ستائر . . يسمى القبة . ومن هذه الكلمة اشتقت كلمة (ALCOBA) في أسبانيا لتعني غرفة النوم ، واشتقت منها كلمة (ALCOVE) باللغة الانجليزية .

وأثاث المنزل بسيط وسهل النقل من حجرة الى أخرى . وتفرش أرضية الحجرات بالحصر نفسها المستعملة في مصر والعراق ويفرش فوقها سجاد من الصوف . . وتغطى جدران هذه الحجرات قطع ملونة من الحرير او الصوف من علو ستة أقدام تقريبا . ويمتد من تحتها مقعد منخفض على طول حجرة الجلوس مغطى بمفارش من المخمل والنسيج المطرز . وتستعمل المفروشات الصوفية في الشتاء وتستبدل في فصل الصيف باخرى من نسيج اخف (كالقطن او الكتان) او الجلد » ٢٥ .

ويصف هذا الكاتب طريقة اضاءة هذه المنازل في الماضي وكيفية تدفئتها فيقول :

« كان الناس يستعملون الشموع أو القناديل الزيتية لاضاءة بيوتهم ولتدفئتها كانوا يستعملون مواقد للفحم مصنوعة من المعدن او الجص (الفخار) . أما في بيوت الأغنياء الفخمة ، فكانوا يحولون الهواء الساخن عند تسخين مياه الحمامات فيمر بأنابيب أو قنوات داخل الجدران الى غرفة المعيشة . . . وهي الفكرة نفسها المستخدمة في التدفئة المركزية » ٢٦ .



منــازل قرطبــة ذات الطــابع القديم اليــوم :

ان طابع بيوت الاندلس ليس موحد ولكن قد يختلف بعض الشيء من منطقة الى اخرى تبعا لطبيعة المنطقة ومناخها . ولهذا السبب يكون طابع المنازل في كل مدينة مختلفا ليلائم عوامل المناخ المحليـة . وقد أدى هذا السبب الى كون بيوت قرطبة مميزة بطابع خاص بها .

ان مظهر بيوت قرطبة العربية بسيط من الخارج . وتبنى أغلب هذه البيوت من طابقين وبعضها قد يكون من ثلاثة طوابق أو طابق أرضي واحد فقط . وللبيت باب خشبي كبير ونوافذ قليلة تطل على الطريق الضيق . وتوجد بعض الأبواب التي يكون في جزء منها باب صغير تبعا لبعض التقاليـد العربية القديمة . وتستعمل للنوافذ شباك خشبية مستمدة من التقاليد نفسها . وللنوافذ قضبان حديدية من الخارج تصبغ باللون الاسود وكثيرا ماتزين هـذه النوافذ بالازهار الجميلة لتجميل المظهر الخارجي للمنزل .

يؤدي البـاب الخارجـي الى ممـر يفصل بين الخارج وداخل البيت وتزين جدرانه قطع



من السيراميك الملون التي قد يصل علوها الى متر ونصف . وتفصل بين الممر وفناء البيت الداخلي بوابة حديدية سوداء لها جمال خاص يضيف لهذا الطابع رونقا خاصا .

يعجب أهل قرطبة بالأزهار ذات الألوان الجميلة ومختلف النباتات الخضراء فيملأون بيوتهم بها خصوصا خلال فصل الربيع . . وبما أن فناء البيت هو أهم جزء من المنزل فهم يزينونه بكثير من هذه الزهور والنباتات المختلفة . ويحيط بهذا الجزء المكشوف من البيت رواق في كثير من الحالات وله أعمدة وعقود من جانب واحد على الاقل . وتطل أبواب ونوافذ حجرات البيت على الحوش مباشرة أو على الأروقة وهذا أفضل . وتخصص الغرف في الطابق العلوي للنوم غالبا .

وللبيت سطح يقسم الى جزأين جزء منحدر يغطى بالقرميد لحمايته من المطر والاخر يسمى (AZOTEA) باللغة الأسبانية . . . وهي مأخوذة من كلمة (السطيح) تصغيرا لكلمة السطح بالعربية - وذلك لصغر مساحة سطوح هذه المنازل ويستعمل السطيح لنشر الملابس بعد غسلها لتجف ويكون به أحيانا بعض الزهور والنباتات للزينة .

عندما تشتد حرارة الشمس في الصيف . . يغطى الجزء المكشوف من المنزل بأغطية من النسيج السميك لحمايته من أشعة الشمس ، فتخفف هذه الأغطية من شدة الحرارة فيتحول هذا المكان في داخل البيت الى مكان لطيف به نور خافت وهواؤه أقل حرارة بكثير من الخارج ويوحي بالهدوء والراحة .

ان معظم بيوت قرطبة تصبغ باللون الابيض من الخارج والداخل . فاللون الابيض هو اللون التقليدي لهذه البيوت منذ زمن بعيد . ويتم صبغها مرة كل عام خصوصا خلال فصل الربيع بعد مايتحسن الجو وتقل الامطار . والطلاء المستعمل هو الكلس الجيري



المخلوط بالماء ويستعمل لسببين بالاضافة الى رخص ثمنه وجمال لونه النقي . فاللون الأبيض يعكس حرارة الشمس خصوصا عندما تشتد خلال فصل الصيف . . .
والكلس نفسه يطهر ويحمي جدران البيت من البراغيث . وتستعمل اليوم انواع اخرى من الاصباغ التجارية بالاضافة الى هذا النوع المستمد من اساليب الماضي . ومن مميزات اللون الابيض ايضا انه يوحي بالنظافة والجمال ويوحد مظهر المنازل فتبدو جميعها ناصعة جميلة لاتنافر بينها . وبالاضافة الى ألوان الزهور والنباتات المختلفة وزرقة السماء التي تنسجم جميعها مع لون هذه المنازل فتسعد العين والنفس لمرآها .

ان من النواحي المهمة في هذا الطابع من البناء كونه عمليا واقتصاديا كما انه من الممكن بسهولة تحويل المنزل من هذا النوع الى فندق صغير مثلا أو مكاتب تجارية او مدرسة أو « مصنع » صغير لحرفة ما ، أو دكان في جزء من البيت المطل على الطريق أو مقهى أو مطعم . ان عملية التحويل هذه سهلة ولاتتطلب أي تعقيد . . فكثير من العائلات في قرطبة يحولون جزءا من بيوتهم لهذه الأغراض العملية والتجارية . وتوجد كثير من هذه المنازل ذات الطابع القديم التي تستعمل كأندية أو مراكز لبعض الجمعيات .

أن لهذا الطابع القديم مزايا اقتصادية لبساطته وسهولة بنائه وعدم تكلفة المحافظة عليه والعناية به مع مرور الزمن . أولا يبنى البيت حسب هذا الطراز فيستعمل كل شبر من الارض دون تبديد . فقد تكون مساحة الارض صغيرة جدا ولكنها من الممكن أن تكفي لبناء بيت صغير ومريح . والدليل على هذا وجود بعض المنازل في قرطبة طولها عشرة أمتار وعرضها أقل من عشرة أمتار ، أي أن مساحتها تقل عن المائة متر مربع . . وهي تكفي لسكن عائلة صغيرة . ويتكون منزل كهذا من طابقين - الأول للمعيشة اليومية (طبخ وأكل وجلوس) ، ويستعمل الطابق الثاني للنوم . ويكون في وسطه فناء صغير ولكنه يكفي لأن يوفر الانفتاح وبالتالي الانشراح النفسي فلا يحس ساكنه بالضيق .

ان مواد البناء المستعملة في هذا النوع من العمارة كلها مستمدة من الطبيعة



وتناسب العوامل الطبيعية والمناخ في المنطقة . فاستعمال الطين المتوفر بكثرة في تربة المنطقة هو السائد . وهو يحرق بعد تشكيله في قوالب ويصنع منه الطابوق الآجر والقرميد . وطابوق الآجر نوعان : نوع صغير (حجم عادي) لبناء الجدران ، وآخر حجمه اكبر بكثير . . وهو حديث يستعمل لبناء السقوف . وتصنع قطع البلاط للأرضيات من المادة نفسها فبعضها يكون ملوناً وبعضها طبيعي بدون أي طلاء . أمّا القرميد الذي يستعمل للسطوح ، فانه يصنع من هذه المادة الفخارية نفسها ويستعمل منذ قديم الزمان .

والرخام من أفضل مواد البناء ، ولكن استعماله محدود لغلائه بالنسبة للمواد الاخرى ويستعمل في بيوت قرطبة للارضيات أو لتغطية جزء من الجدران . وكثر استعماله في الماضي للاعمدة وتيجانها الجميلة المحفورة باليد .

ويستعمل السيراميك في هذه المنازل فيضيف الى جمالها بألوانه المختلفة حتى عندما يستعمل القليل منه وبخاصة اذا كانت به رسوم هندسية ذات طابع شرقي .



ومع أن مواد البناء هذه تستعمل بكثرة الى يومنا هذا ، فان مواد أخرى حديثة وبخاصة المواد الاسمنتية التي ليست بالمستوى نفسه من الجودة تستعمل كذلك وبشكل خاص في بناء العمارات في الاجزاء الحديثة من قرطبة .

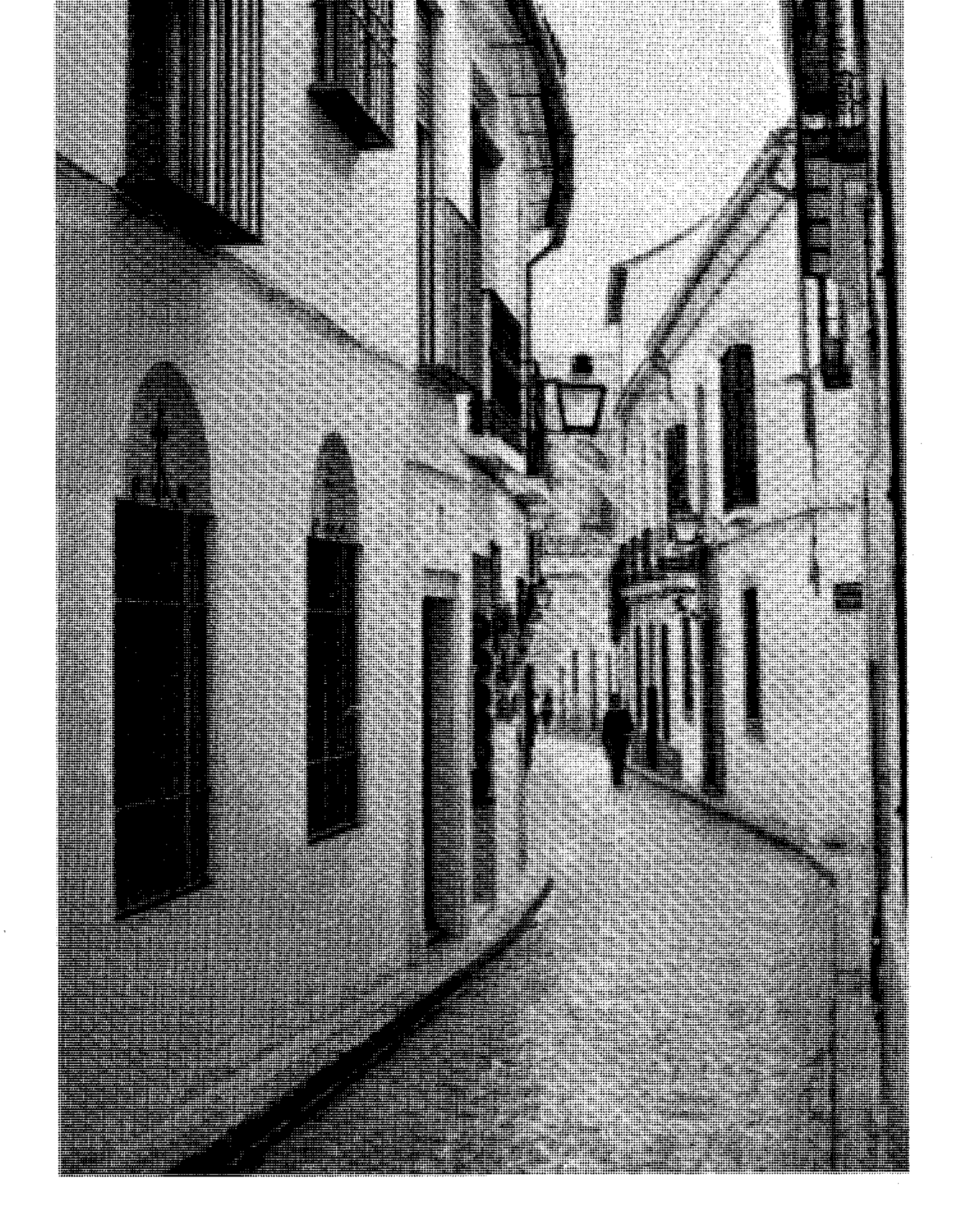
استعمل الخشب بكثرة في الماضي و خاصة في سقوف المباني . اما اليوم فان استعماله محدود للابواب والنوافذ وتبنى الأسقف بطرق حديثة أكثر قوة .

كانت جدران المباني القديمة في قرطبة سميكة جدا قد يصل بعضها متراً أو أكثر والسبب أن سمك الجدار يزيد من قوة البناء في الماضي . . وله علاقة كذلك بالعوامل الحرارية فيعمل كالعازل لحماية الحجرات الداخلية في المنزل من التأثيرات الجوية (الطبيعية) . وتتراص بيوت قرطبة العربية بعضها ببعض فكثيراً ماتكون جدرانها مشتركة وكأنها تحمي بعضها البعض من العوامل الخارجية .

وفي بعض البيوت الكبيرة أكثر من فناء واحد وذلك لاتساعها وقد يحول جزء منها الى حديقة تتعذر رؤيتها من الخارج .

تكثر الزهور والأشجار ومختلف النباتات الجميلة في قرطبة فتزين بها البيوت والطرقات والساحات . وتوجد أنواع معينة من الزهور ذات الألوان الجميلة التي قد لايخلو منها أي منزل . . فانها توجد في كل مكان ولها شهرة في جميع أنحاء الاندلس . وتوجد كذلك الورود وأزهار أخرى مثل القرنفل والياسمين . . وهي من الزهور المشهورة التي تكثر في قرطبة فتعطر الجو برائحتها الطيبة وعلى الاخص في ليالي الصيف .

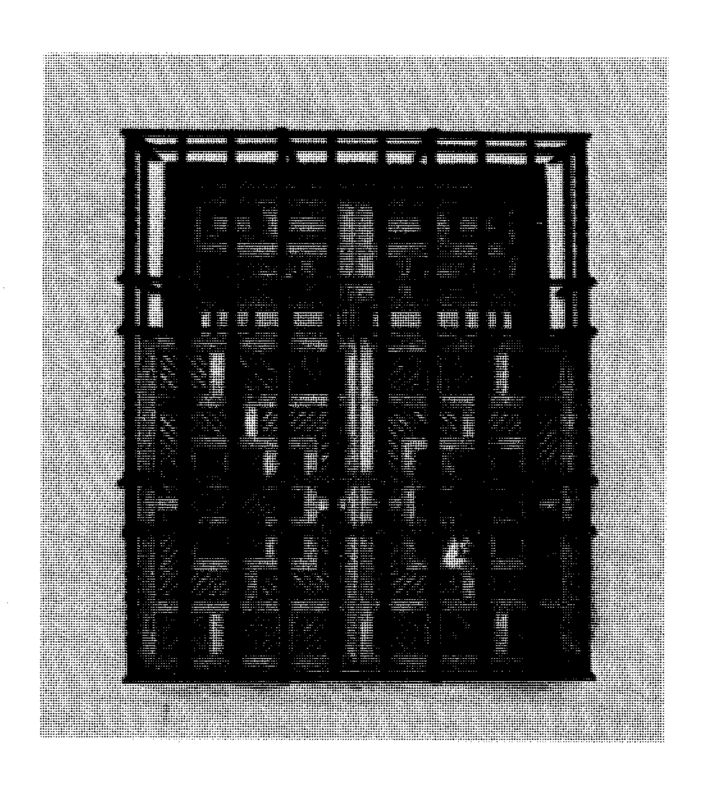
ويكثر النخيل وكذلك أشجار البرتقال والليمون التي تزهر في بداية الربيع ولها رائحة عطرة بكل أنحاء قرطبة القديمة . ولكن للاسف تفسد أدخنة السيارات هذه الرائحة الطيبة في كثير من الاحيان . ولأهل قرطبة عادة قديمة وهي التمشي في طرقات الحي القديم خصوصا في المساء . . وهي عادة مازالوا متمسكين بها .



طرقـات قـرطبـــــة :

ان أغلب طرقات أحياء قرطبة ضيقة ، ومازالت تحافظ على الطابع القديم . ومن الطبيعي أنه لم يقصد من وراء تخطيطها القديم أن تستعمل للسيارات الحديثة . . وانما للتنقل مشياً على الأقدام والى حد ما لمرور العربات في الماضي . ولكن اليوم تدخل السيارات الى هذه الأحياء القديمة فتسبب الازعاج في هذه الطرقات الضيقة .

ولضيق هذه الطرقات مزايا مختلفة ، فصغر مساحتها يسهل عملية تنظيفها وكثيراً ماتنظف النساء الجزء من الطريق أمام المنزل وكأنه جزء من البيت . ثم أن هذه الطرق لضيقها يتوفر فيها الظل فيحميها من الشمس عند شدتها في الصيف وفي الشتاء تحجز الرياح الباردة فتبقى دافئة نوعا ما . وفي الليل تضيء القناديل ذات الطابع الاندلسي هذه الطرقات . ولأنوارها الخافتة جمال خاص يزيد ليل قرطبة جمالا يضيف لها رونقا خاصا .



وتمتلىء هذه الطرقات بالناس والحركة . وانه لمن المؤسف ان يتعذر أحيانـا المشي بسبب الأوساخ الناتجـة عن وجـود كلاب عنـد بعض النـاس تشـوه هذه الطرقـات بمخلفاتها . . وهذه احدى المشكلات التي تسيء لمدينة قرطبـة وتحـط من قدرهـا . ويا حبـذا لو أدرك المسؤولن في بلـدية قرطبـة هذا الأمـر وعملوا على منع هذا التشويه بكل وسيلة للمحافظة على نظافة طرقات قرطبـة حتى تكون مثالاً يقتدى به .

وتوجد في قرطبة القديمة ساحات صغيرة تضيف الى جمال الأحياء القديمة نوعاً من البهجة والانشراح وبخاصة اذا كان بها بعض الأشجار والأزهار ونافورة ماء .

توجد في مدينـة أشبيليـة بعض البيوت الشبيهة ببيوت قرطبـة وبالاخص في الحي القديم منها بالقرب من مئذنة جامع اشبيليـة التي تسمى اليوم « الجيرالدا » . ومن المعروف هنا انه يوجد فرق بين بيوت قرطبة وبيوت اشبيلية . والفرق هو ان فناء البيت القرطبي أصغر وذلك بسبب قرب قرطبـة من الجبال فهي أكثر ارتفاعا من اشـبيليـة وبالتالي أكثر برودة . فصغر صحن المنزل يحميه من البرودة ويساعد على حفظ دفء المسكن من الداخل . بينما اتساع الحوش في المنزل الاشبيلي يساعد على تهويته وبخاصة في فصل الصيف عندما تشتد الحرارة . فهذه احدى النواحي التي توضح علاقة المنـاخ والموقع في كل منطقة وطابع البنـاء وأساليبه في تكوين المسكن الملائم . هذه أمور متبعة منذ قرون طويلة وناتجة عن معرفة تامة ودقيقة بكل مايتعلق بفنون البناء والمعمـار . ولكن جيلنا لاينظر الى هذه الامور في الوقت الحاضر ولايهتم بالنواحي الناتجة عن خبرة الأقدمين.

ويؤكـد السيد حسن فتحي « ان البنـاء الجميل يجب أن يخدم حاجة الأفراد اليومية وان كانت متواضعة . فاذا كان التصميم يتناسب مع مواد البناء والبيئة نفسها . . وهذا هو الغرض من البنـاء . . . فلابـد أن يكون المبنـى جميـلاً » ٢٧ .

الخاتمة

ان نمو مباني قرطبة القديمة وطرقاتها نتاج عملية زمنية طويلة تتسم بالتطور الطبيعي . فقد كانت عملية النمو الطبيعية هذه من الصفات الاساسية للمدن في البلاد العربية خاصةً والاسلامية بشكل عام منذ عصور طويلة الى وقتنا الحاضر ، عندما بدأ «خبراء التخطيط» في تمزيق شتات هذه المدن بقصد تطويرها فجلبوا لها مختلف المشكلات وحالات الفوضى .

فالنمو الطبيعي على النمط القديم يتبع أمرين مهمين . الأول هو طبيعة الارض والمكان أو الموقع وصفاته ، والأمر الآخر هو سد حاجة أفراد المجتمع السكنية . بينما الأساليب الحديثة في الواقع تتجاهل هذه الأمور الاساسية ويتم التخطيط بصورة إرتجالية وعشوائية أحياناً ويكرس الاهتمام بأشياء اخرى حديثة كالسيارات وغيرها من الآلات والأجهزة المصنعة فتتعقد أمور الحياة . فكأن الصناعات الحديثة تستطيع توفير حل لكل مشكلة . وهذا خطأ كبير لأن هذه الأشياء المصنعة نفسها تولد مشكلات في غاية التعقيد لايسهل حلها . ان الصناعات الحديثة ومنتوجاتها تزيد من تعقيد الحياة في كثير من المجتمعات .

وقد علق شخص صيني عاش في الغرب على المجتمعات الغربية وأسلوب الحياة فيها واعتمادها الكلي على الآلة والتصنيع و خاصة في الولايات المتحدة . . فقال « ان لديهم الآن طرقاً سريعة وانتاجا ضخما للسيارات . فكل عائلة تملك سيارة أو سيارتين ، ونتيجة هذه المحاولات لتسهيل الحياة هي إزدياد تعقيدها وتكاثر المشكلات . فتزدحم هذه الطرق من كثرة السيارات ويصبح من الصعب توفير أماكن كافية لمواقف لها ، ويتلوث الهواء وتزداد أسعار السيارات وأسعار وقودها » ٢٨ .

ويتضح من هذا أن هذا الأسلوب من الحياة والتخطيط خاطىء وليس مستمداً من فهم أو بعد نظر ، ولكنه وللأسف الشديد ينتشر انتشاراً واسعاً في مختلف بلاد العالم مع مرور الوقت وبتأثير من الغرب لتحطيم كل تراث ذي قيمة عند الشعوب الأخرى . وعند النظر الى هذه الامور يتضح لنا ان مايحتاجه العالم اليوم هو قليل من حكمة الشرق وليس أساليب تصنيع الغرب .

فهنـا في طرقات قرطبـة القديمـة ، يستطيع الانسان أن يعيش حياته اليومية بطريقة عادية وبسيطة دون تعقيد ودون حاجة الى سيارة لتنقله . . فيستغنـي عن السيارة ومصاريفها ومشكلاتها المختلفة . فالمشي مازال ممكنا لقضاء كل مايحتاجه الفرد في الحياة اليومية دون ان يشعر بانه انسان متخلف أو ناقص . فالحضارة والتقدم ليس بإقتناء ماهو جديد واستهلاك مختلف السلع والمنتوجات الصناعية والحديثة . ان الحضارة شيء آخـر تماما ، فأسسها معنوية اكثر منها ماديـة .

ويضرب السيد حسن فتحي مثالاً ليوضـح هذه النقطـة فيقـول : « ان مقياس الحضـارة بطباع الناس وتقاليدهم ومستوى الحيـاة عندهم وليس بغلاء مايملـكون من أجهزة وكماليات . فقد يملك رجل ما آلـة حلاقه كهربائية ولكن هذا لايعني انه أكثر حضارة أو تمدناً أو أعلى مقاماً من رجـل آخـر يملك موسى حلاقة عاديا . فالاثنـان يحلقان وهذا هو المهـم » ٢٩ .

تفصل آلاف الاميال بين جنوب أسبانيا وشمال الهند . . ولكن يوما ما قبل قرون طويلة ، كانا طرفين لعالم اسلامي واحـد . فكان الطابع الشرقـي للبنـاء والحياة هو السائد في تلك المنطقة الشاسعة . . الى أن بدأ تأثير التغيير الحديث يسري في مختلف أنحاء هذه البـلاد .

يصف أديب هنـدي مسلم طابع البنـاء الاسلامي في بلاده فيقول :

« ان بهذا الطـراز فرحا وانشراحا . فانه يبعث بالنفس السرور وليس الكآبـة . فهذا الاحساس بالسرور ناتج عن النظر للعالم ورؤيته كمكان جميل وليس كمكان مظلم شرير » ٣٠ . لهذا السبب وعندما اختلفت الموازين في العصر الحديث وتغير هذا الطابع القديم بدأ الناس في تعمير مبان اسمنتية موحشة في كل مكان . فان هذا كله يعتبر ضياعا وليس تقدما . . . فكلما اختفت من المجتمع أشياء جميلـة من تراثه ، تعتبر خساره لأفراده وللعالم أجمـع .

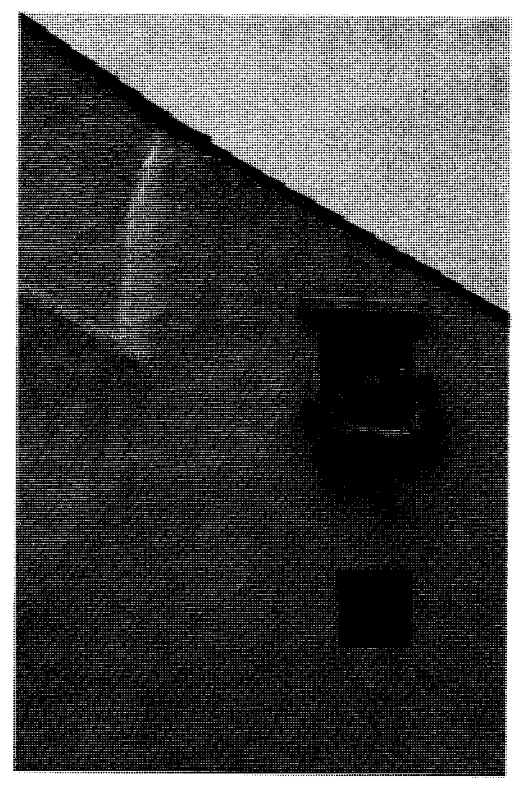
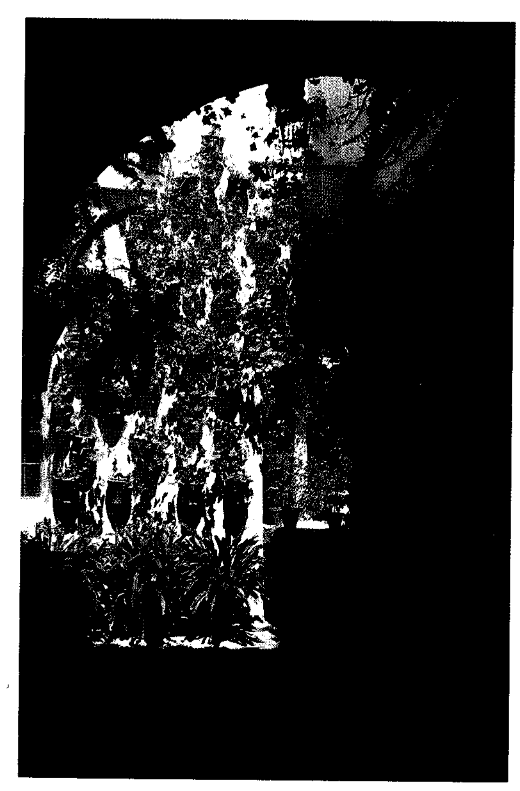
ان الطابع العربي الشرقي في البناء طابع أصيل ، تطور على مدى آلاف السنين . وهو جزء من تراث عظيم انتشر في بـلاد كثيرة لجماله . وهو جزء من أسلوب متكامل في الحياة - أسلوب ذي طابع انسانـي - القصد منه سعادة الانسان . اسلوب يتناسب مع حياة بسيطة وعملية ولكنها غنية بخصوصية التقاليد والعادات الاجتماعية والتاريخية ولهذه الاسباب يجب أن لانتجاهل طابعنا أو ننساه بكل هذه السهولة بمجـرد انـه شيء من الماضي .



ان لهـذا الطابع القديم صفات ومميزات إيجابية كثيرة متعددة تعمل على ايجاد أسلوب لحياة اجتماعية مترابطة وسليمة . فالبساطة هـي سـر جمال ذلك الطابع اضافة الى كونه يحتوي على العناصر الطبيعية - من نور وهواء ومـاء ونبات - فكلها تضيف الكثير الى جمالـه لانها عناصر محببة الى نفس الانسان مهما كان موطنه .

ان طابع البناء العربي الشرقي له قيمـة كبيرة في جيلنا هذا ولذلك علينا أن ندرسه من جديد لنعرف مزاياه الكثيرة - وبدقـة أكثر - ونستطيع الاستفادة منه في تكوين بيئة ملائمـة غنية بجمـال خاص بطبيعتها .

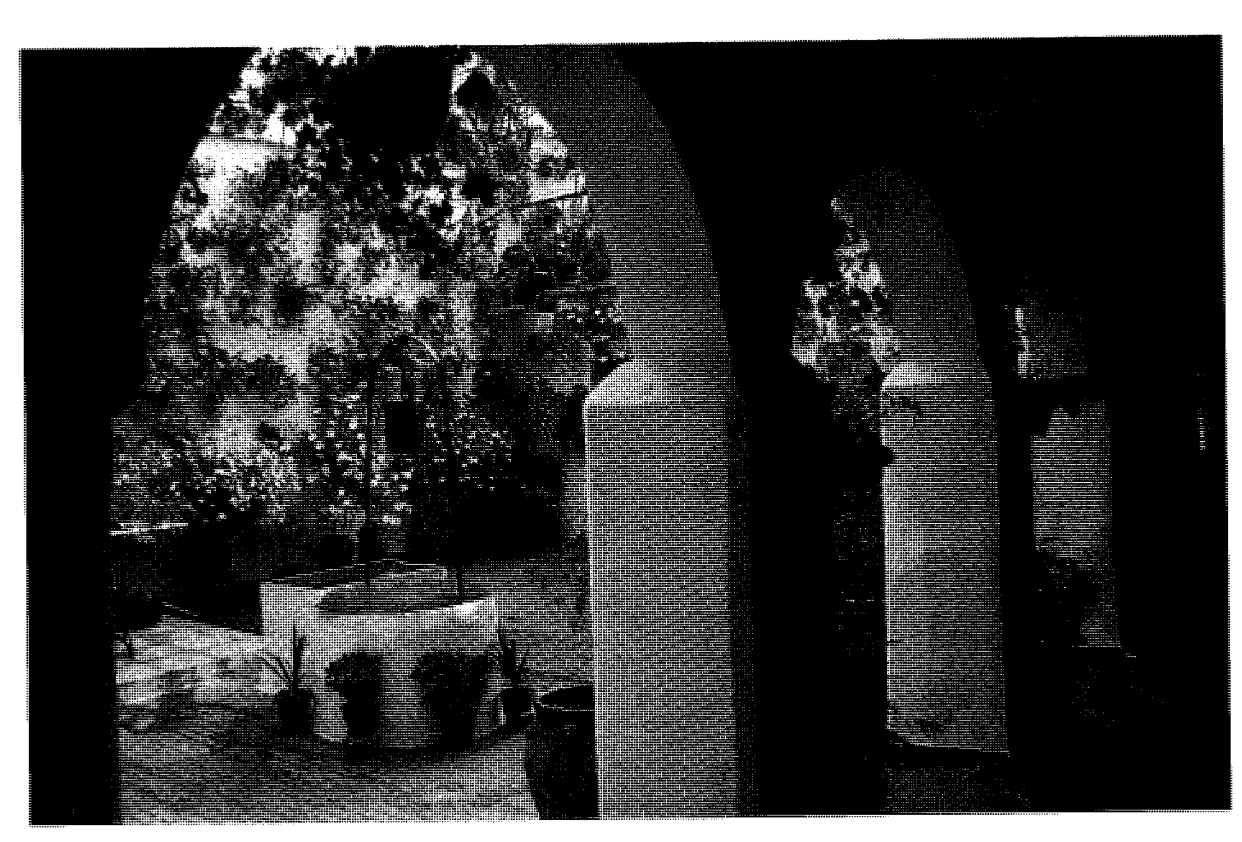
وهنـا في قرطبـة كأي مكان آخـر . . . مازال التغيير مستمراً ولاندري الى متى تدوم بيوت قرطبة العربية . فان اختفت يوماً ما باسم التطور الحديث فانها ستـكون خسارة كبيرة وليست تقدمـا .

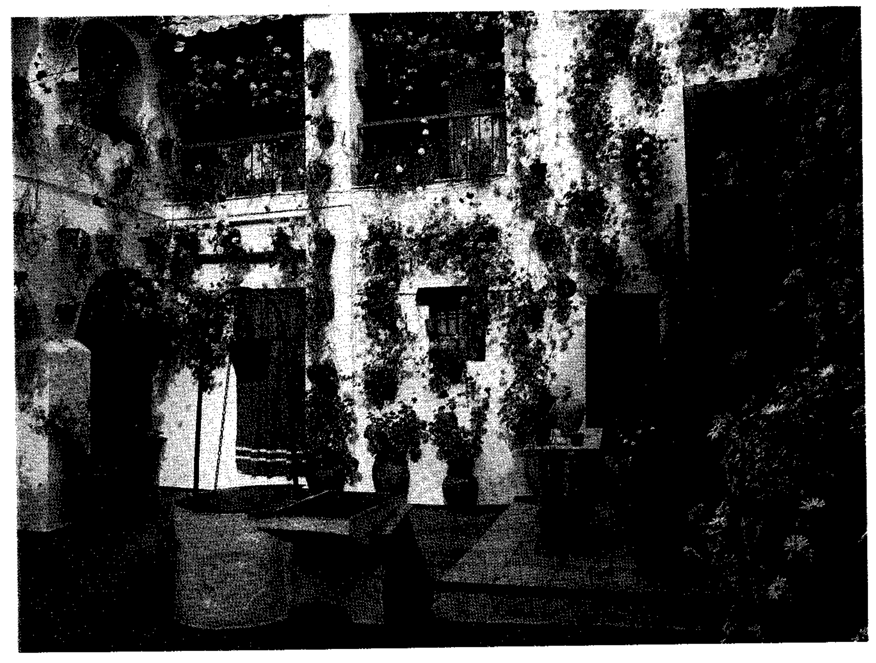








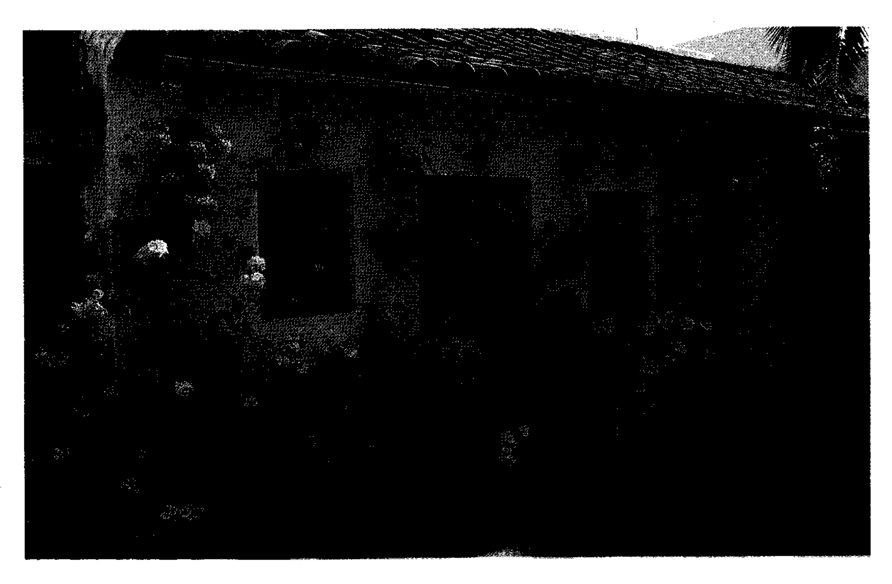












The patio-home as an architectural style is thousands of years old, being part of a long cultural process that spread to many lands. It is part of a whole way of life which developed to meet physical and social needs on a human scale. A way of life which is simple, yet practical and rich with traditions, should not be dismissed and rejected as something from the past.

There is a great deal that could be said in favor of the patio-homes. Their qualities and advantages are numerous and conducive to a healthy urban life. Their simplicity and spirituality are the secret behind their beauty and charm. The natural elements–light, air, water and plants–that are always present within the patio, appeal to people from all cultures; these elements are often ignored or excluded in many «modern» buildings and planning systems.

The courtyard style is certainly worth reexamining today, so that our generation and those to come, rediscover its positive merits and qualities. But modern change is so fast and great, that the patio-homes might not survive for very long. And if they disappear in the name of «progress», then it will be a great loss, rather than a gain.



CONCLUSION

The homes and streets of Córdoba are a result of a long organic process of growth as an urban community. This organic process was typical of the traditions in Arab and Muslim communities from ancient times until very recently, when modern urban «planners» destroyed many of the traditions of this long heritage by applying superficial planning systems and consequently introducing a range of inconveniences and chaos.

The organic system respects two main factors equally, the first is the natural condition of the area, and the second, but not the least, the needs of the people. While modern systems, in reality ignore these two basic factors and give priority to other factors, or even objects (such as the automobile for example), as if technology can provide the solution to every problem. The fact that technology itself breeds problems is often overlooked. This observation was made by a Chinese teacher commenting on Western societies, especially the United States; they «now have super highways, mass production automobiles and one or more cars for each family. The result of this extreme convenience is inconvenience, traffic jams, a lack of parking space, air pollution and the high cost of cars and gasoline».[28] Such an approach is extremely shortsighted, yet it is spreading fast in many countries, destroying their traditional culture. It seems that what the world really needs is some Eastern wisdom rather than Western technology.

Here, in the old «barrios» of Córdoba, one can live a simple life, happily, without a car or its cost, tension, and other problems related to it. Walking is still possible to carry on with daily life, without necessarily feeling backward. True progress is not an act of accumulating objects. Hasan Fathy provides an example to clarify this point by saying that civilization «is to be measured by the kind of accessories to living and the kind of habits a people has, not by the costliness of their possessions. A man may own an electric razor, but he is no more civilized than one who has an oldfashioned one; both shave, and that is enough».[29]

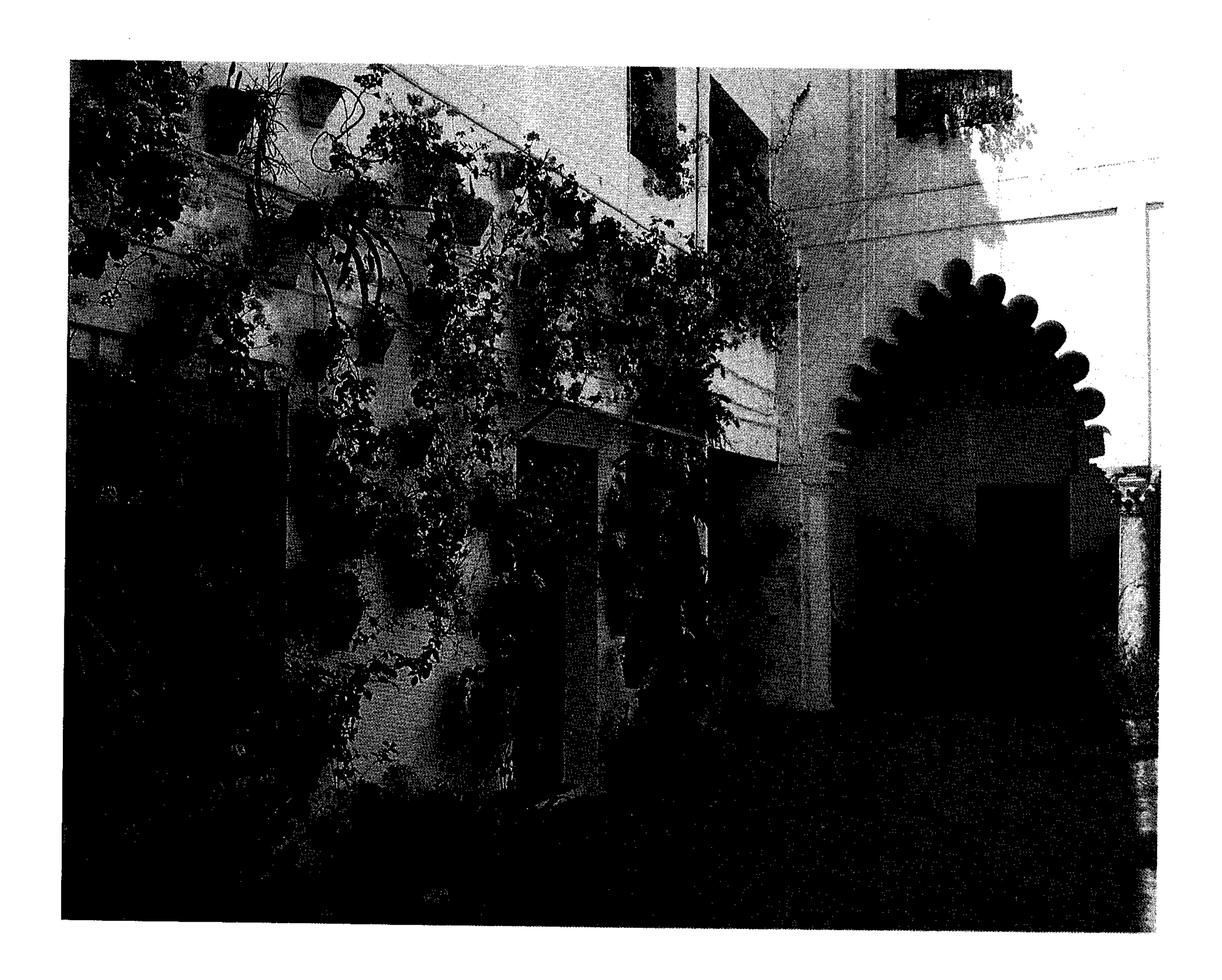
Between Southern Spain and Northern India lie thousands of miles, yet once, centuries ago, they were the two ends of one Muslim World. The courtyard home was the typical style of architecture in most of these lands, before the impact of modern ways. A respected writer from Northern India gives an insight to the philosophy behind the traditional Muslim architecture of his homeland, saying «this is an approach of joy, not grief, a sense of joy that is created by an appreciation of the world and not looking upon it as an evil».[30] This is why it is a loss when such an approach is replaced by another resulting in ugly concrete buildings everywhere. When something beautiful disappears in any culture it is a loss not only to the people of that culture but also to the world as a whole.

---

[28] Tou, Tsung Hwa, «The Tao of Tai-Chi Chuan», 1980.

[29] H. Fathy.

[30] I. H. Qureishi, from a lecture entitled «Muslim Art», 1972.



Sevilla still has a few patio-homes that are similar to the patio-homes of Córdoba, mostly in the area near the «Giralda» and the «Alcázar». Locally it is known that there is a difference between the patios of these two cities. This difference is in the size of the patio itself. It is said that the patios in Córdoba tend to be smaller than the patios in Sevilla. The reason is that Córdoba is relatively cooler than Sevilla, both in winter and summer, due to its higher elevation, and proximity to the mountains. In winter, a smaller patio is less exposed to the cold weather, therefore, it retains more heat within its contained small space. While in Sevilla, the larger area within the patio allows for more ventilation and air circulation, which provides for greater heat loss. This is probably a rule which is not applied in every case, due to the particular size of the plot. Yet, its importance is to show the traditional consideration for environmental conditions and relationships. Such a thoughtful approach is essential in creating a home, and as Hasan Fathy points out, «one's beautiful designs must serve the humble everyday needs of men; indeed, if these designs are true to their materials, their environment, and their daily job, they must necessarily be beautiful».[27]

[27] H. Fathy.

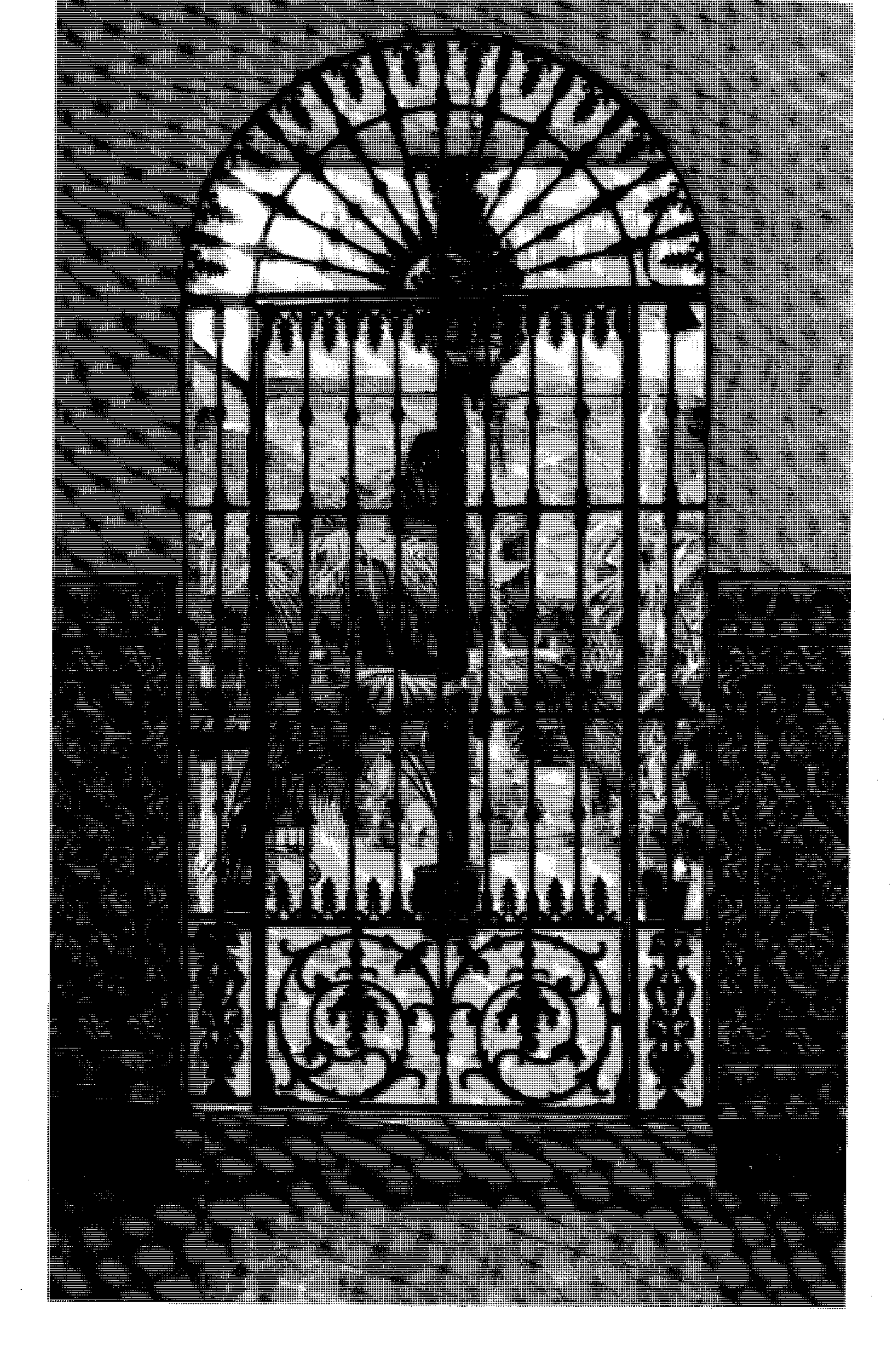
Plants and flowers are very plentiful in Córdoba. The patios, streets and plazas are filled with so much color and beauty. Geraniums, in a variety of types and colors, are the most abundant, to a fascinating degree. Other flowers include carnations, fuschia and begonias. Roses and jasmin are also very popular, along with another bush which has a fragrance similar to jasmin, called «Dama de la noche», meaning «lady of the night». Other plants often found are: ferns, coleus, and different kinds of succulents. Among the most common trees are orange, lemon and palm, which are also used in many of the streets and parks.

In April, the orange blossoms perfume the air with their pleasant fragrance. In summer and early fall the scent from jasmin flowers is sweet and unforgettable, especially on warm summer nigtts, when it adds a special appeal to the customary evening stroll, although the exhaust fumes from cars and motorcycles spoil such an enjoyable experience.

The streets of the old part of Córdoba are usually narrow, and some are simply alleyways. Most of these streets were designed for human circulation and to some extent for horse-driven carts or carriages. They were never intended for automobile or motorcycle traffic, which today is a nuissance and a hazard. Because of their small size, the streets could be easily kept clean. Very often, women are seen cleaning the area in front of their homes, as if it was part of the house. Also they are protected; they are cooler in summer, being shaded, and relatively warmer in winter, since they are not exposed to the cold winds. At night, the streets are softly lit by typical Andalusian light fixtures. Many of these streets are alive and full of people, especially in the early evening. As attractive and appealing as these streets are, there is one growing problem due to the increasing number of dogs soiling the streets, causing sanitary problems and depriving people of the joy of walking.

Small plazas are the outcome of the space relationship between the patio homes and the streets. The relative openness of the plaza, and especially if there are some plants and a fountain, creates a pleasant and inviting public space.





homes. Even if they are used in a minimal way, they are visually attractive, especially those with traditional geometric designs.

Although these natural building materials are still used extensively, the use of modern materials, some rather inferior in quality, is unfortunately growing, especially in the modern parts of the city.

In the past, wood was used in these buildings as a structural material, and of course for doors and windows. Today its use for structural purposes has generally been replaced by steel and concrete.

The walls of the old traditional homes are thick, in some cases, they are almost a meter thick; the reason most likely, is that the thickness was useful for insulation purposes as well as adding more strength to the building. The houses are not detached from each other, they all share their walls with the adjoining homes, forming a greater whole.

In some of the larger homes it is possible to have two patios or even more, adding continuity and spaciousness to the house. Often, in this case, one patio would be used as a garden and might not be visible from the street.



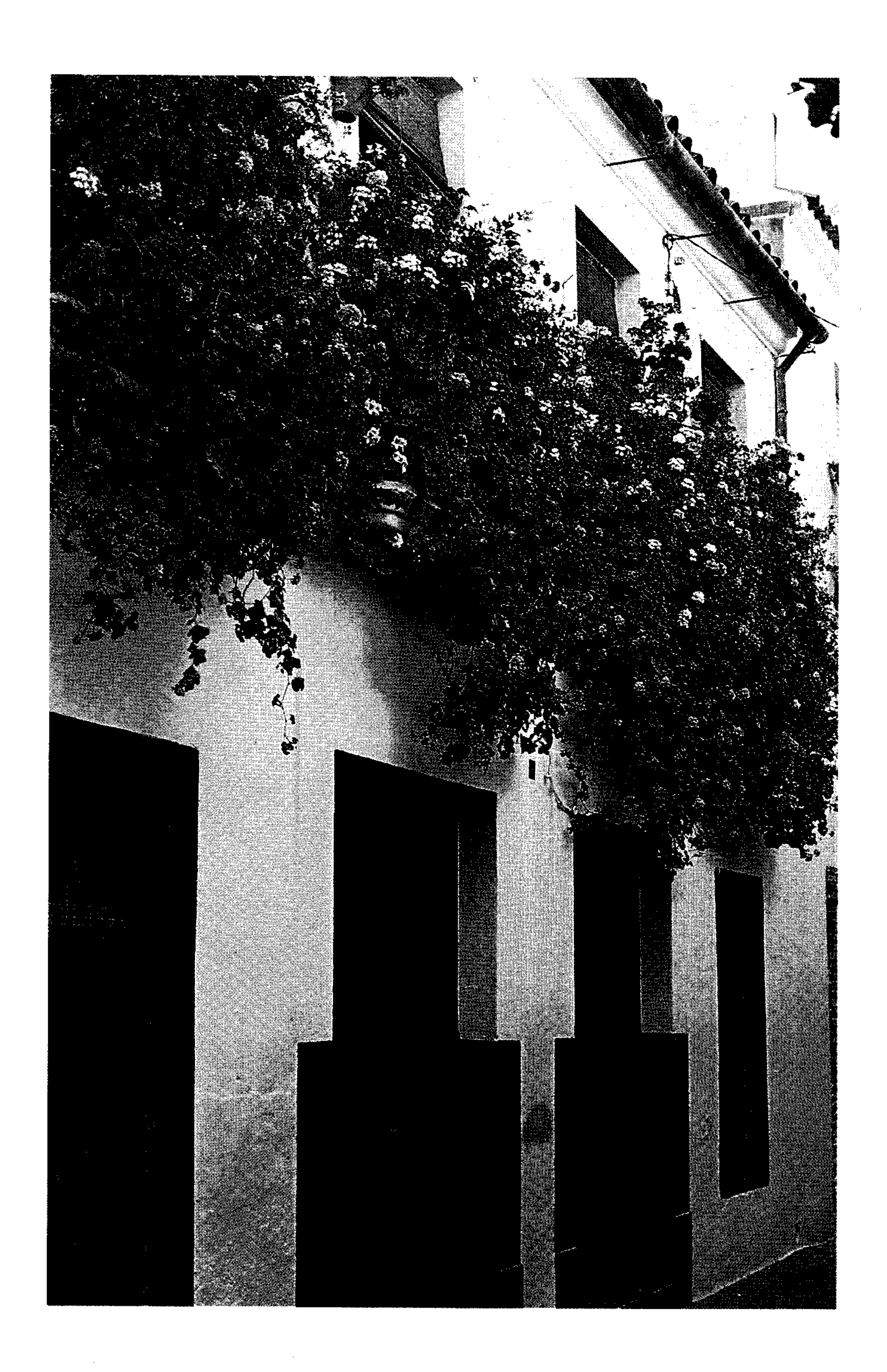


meters would be enough to house a small family. In this case, the house would have two stories; the ground level for daily-living, cooking and eating; the second level for sleeping. The patio, no matter how small in area, provides the little house with the openness which eliminates the irritating sense of restriction and tight enclosure.

The building materials used in this traditional architecture are natural and appropriate for the climatic conditions. These materials make use of clay-earth, which is locally found in abundance. Bricks, tiles, and even the clay-based cement, come from this useful natural material. The bricks are of two types, one is for the construction of walls, and the other, much larger in size, is used for the ceilings. The tiles also can be classified in two categories–one is flat–natural or glazed, which comes in various sizes, the other is the typical curved roof tile which fits together to protect the house from rain.

Marble is used in some homes, either to cover the floors or the walls. It is also used for columns and their capitals. In the past, these capitals were decorated in a carved, filagree pattern.

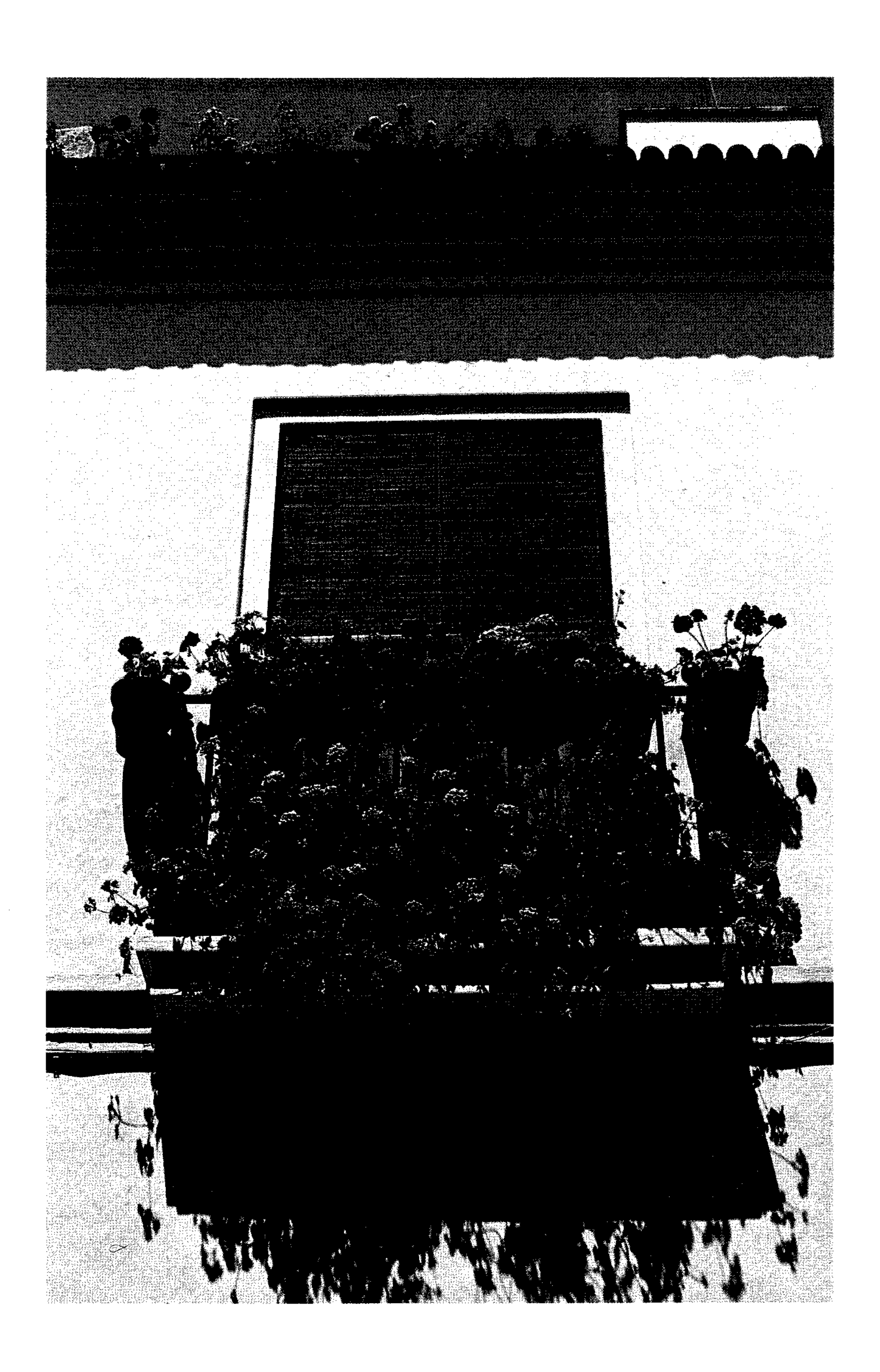
Colorful glazed tiles are very useful in adding beauty to these typical



monious way, as well as providing a pleasing background to the beautiful bright colors of the plants and flowers, that are common in the patio-homes of Córdoba.

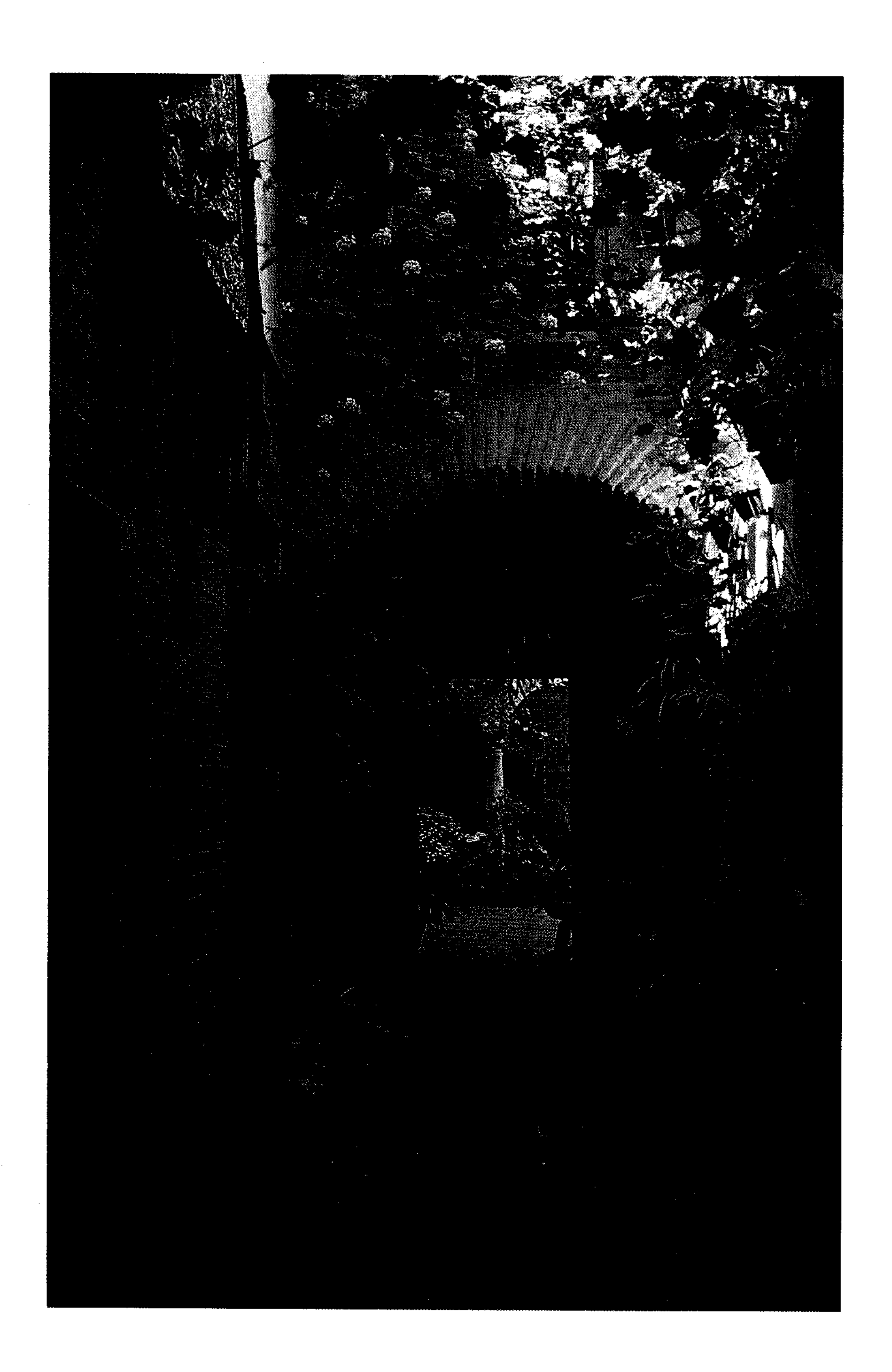
One advantage of the patio style building is that it is functionally practical and can be easily converted into other uses, such as a hostal, an office-building, or a school, work-shop, store, café, or a restaurant. It can conform to a variety of situations and needs, and there are many families who run their businesses in part of their patio-home. There are also several patio-homes that are centers for social, artistic, or musical (folklore) clubs and organizations.

Another important advantage about the patio-style architecture, is that it is economical in construction and maintainance. In these homes, not the least space is wasted, the entire plot is used. A small area of land would be sufficient for the construction of a compact but accomodating patio-home. There are some patio-homes in Córdoba today, with dimensions of less than ten meters by ten meters. This means that an area smaller than one hundred square



protected with the traditional clay-tiles, and a small part is left flat, which is called «azotea» (originally the diminutive of the word meaning roof in Arabic). It is useful for drying clothes in the sun, also in some homes, plants and flowers are kept there. Awnings are used at times in the patios for protection against excessive heat in summertime. They drastically reduce the intensity of sunlight and heat, transforming the patio into a pleasantly cool and peaceful space.

Almost all the patio-homes in Córdoba are painted white, both on the exterior and interior. White is the traditional color in this style of architecture. The houses are usually painted once every year in the spring, when the weather begins to improve. The traditional whitewash is made of lime, dissolved in water. It is used for at least two main reasons, in addition to its attractive appearance and economy: to reflect the heat from the sun in summer and to disinfect the walls of the buildings. Today other commercial types of paint are also used. This white color unifies the appearance of the houses in a har-



three stories or only one. It has a large wooden door and a few windows on the narrow street. Some of these large doors contain a smaller door within, following an old Arab tradition, and in the windows, wooden screens of latticework are used according to the same tradition. Iron grills are also used on the windows and are almost always painted black. It is customary to display flowering plants on the window ledges and small balconies on the exterior of the house. The main door leads immediately into a small entrance space, made attractive by colored ceramic tiles on its walls, reaching to an average height of a meter and a half. A wrought iron gate–large and black– stands between the entrance hall and the patio in the interior of the home.

The patio in Córdoba is full of plants and flowers throughout the seasons, especially in springtime. It is surrounded at least on one or two sides by an arcade. The rooms open to the patio directly, or preferably to the sheltered space created by the arcade. The rooms in the upper level are generally used as bedrooms. The roof-top of the house is usually divided into two parts, one is

Another writer who is interested in this type of traditional architecture presents a similar account to show some of the common characteristics, as well as some functional and practical aspects in the courtyard house.

> «The Andalus home survives, not only in contemporary description, but in its direct descendant, the type of house still to be found in certain cities of Morocco, such as Fez. Typical was a characterless exterior, a vast door, and inside a zigzag passage leading to a small patio, paved with stone, or in some cases marble, and shaded by an awning or a vine. One or two rooms opened off this courtyard... At each end of these rooms there would be a raised niche, screened by a curtain, whose Arabic name kubba gives us, by way of the Spanish alcoba, the English 'alcove'.
> The furniture was simple and could easily be transported from one room to another. The floors were covered with the same rush mats still used today in Egypt and Iraq; on top of these were spread woolen carpets... The walls were hung some six feet high with silk or multicolored wool. Beneath these hangings were long low divans, their mattresses covered with velvet or brocade. Wool cushions were used in winter, to be replaced in the summer by cooler cushions of cloth or leather».[25]

The same author describes how these homes were lit and kept warm in the past. «Candles or brass lamps lit the houses, charcoal-burning braziers of metal or terracotta kept them warm. Only the mansions of the rich had private baths; the hot air from the furnaces that heated them was channeled through the living room walls as a form of central heating».[26]

In Spain, the variation of the patio homes corresponds to climatic factors, so in every city this style is adjusted to adapt to local conditions.

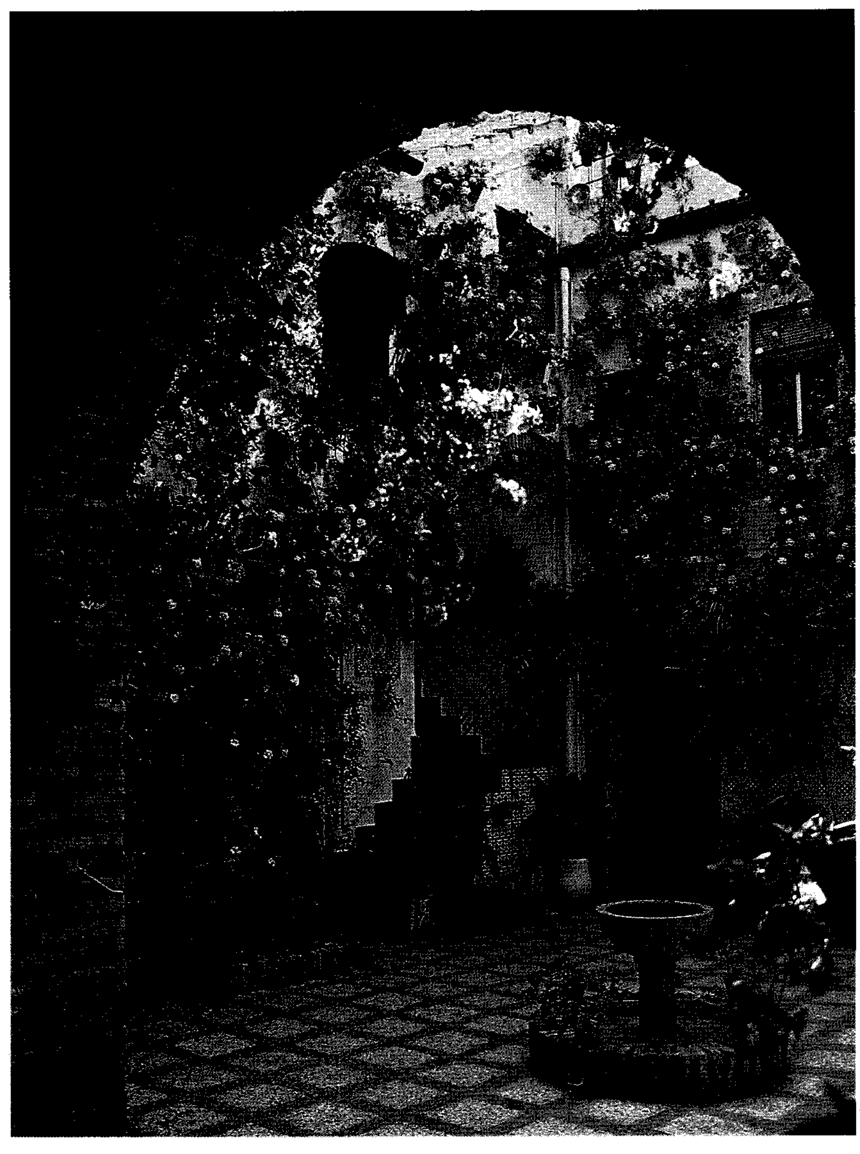
The typical patio-home in Córdoba today is very simple in appearance from the outside. Very often it is two stories high, and in some cases it is either



[25] D. Stewart.

[26] D. Stewart.



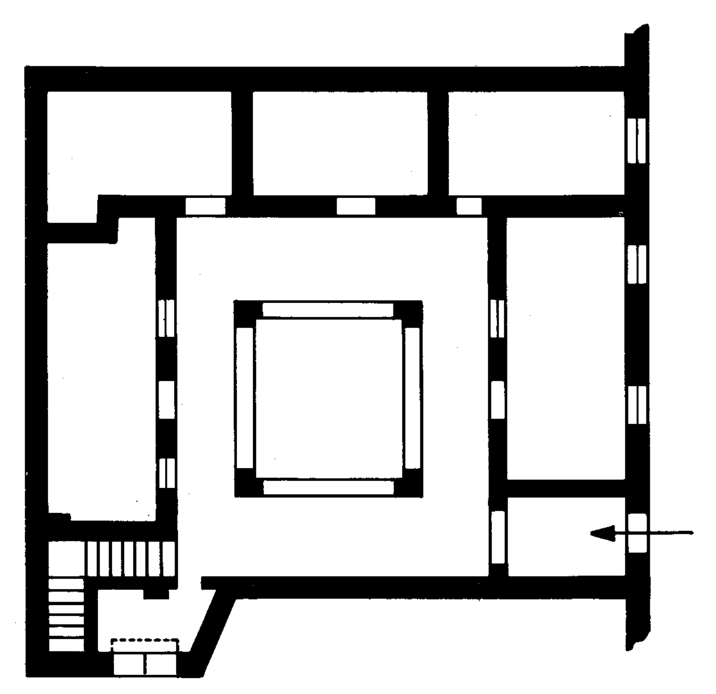




This innate quality which provides comfort–not only physical, but also mental and spiritual–is fundamental within the home. Its value goes beyond mere technical designs and answers the human needs for a healthy home-life. In one way, the courtyard is a simple design element; «yet, to the Arab especially, the courtyard is more than just an architectural devise for obtaining privacy and protection. It is, like the dome, part of a microcosm that parallels the order of the universe itself».[23]

Several writers have provided their own descriptions of the typical courtyard home, including its interior and its furnishings. Though there are many variations within this style, the basic design elements are shared by all. The following is an account depicting one of the courtyard homes in detail. The principal features begin with:

[23] H. Fathy.



Modified plan of courtyard-style home.

«the main entrance being a narrow, vaulted corridor leading to a large inner courtyard. Here, in what is really a garden paved with marble, stands a stone pond surrounded by weeping willows, orange trees, lemon trees, pomegranate trees and aromatic plants, which fill the whole house with the scent of their flowers and their fruits. The living areas, with their beautifully decorated interiors, lie around this inner courtyard.

The main room, often two stories high, is usually divided into three sections arranged around a tiled floor, in the middle of which there is an octagonal fountain made of carved marble.

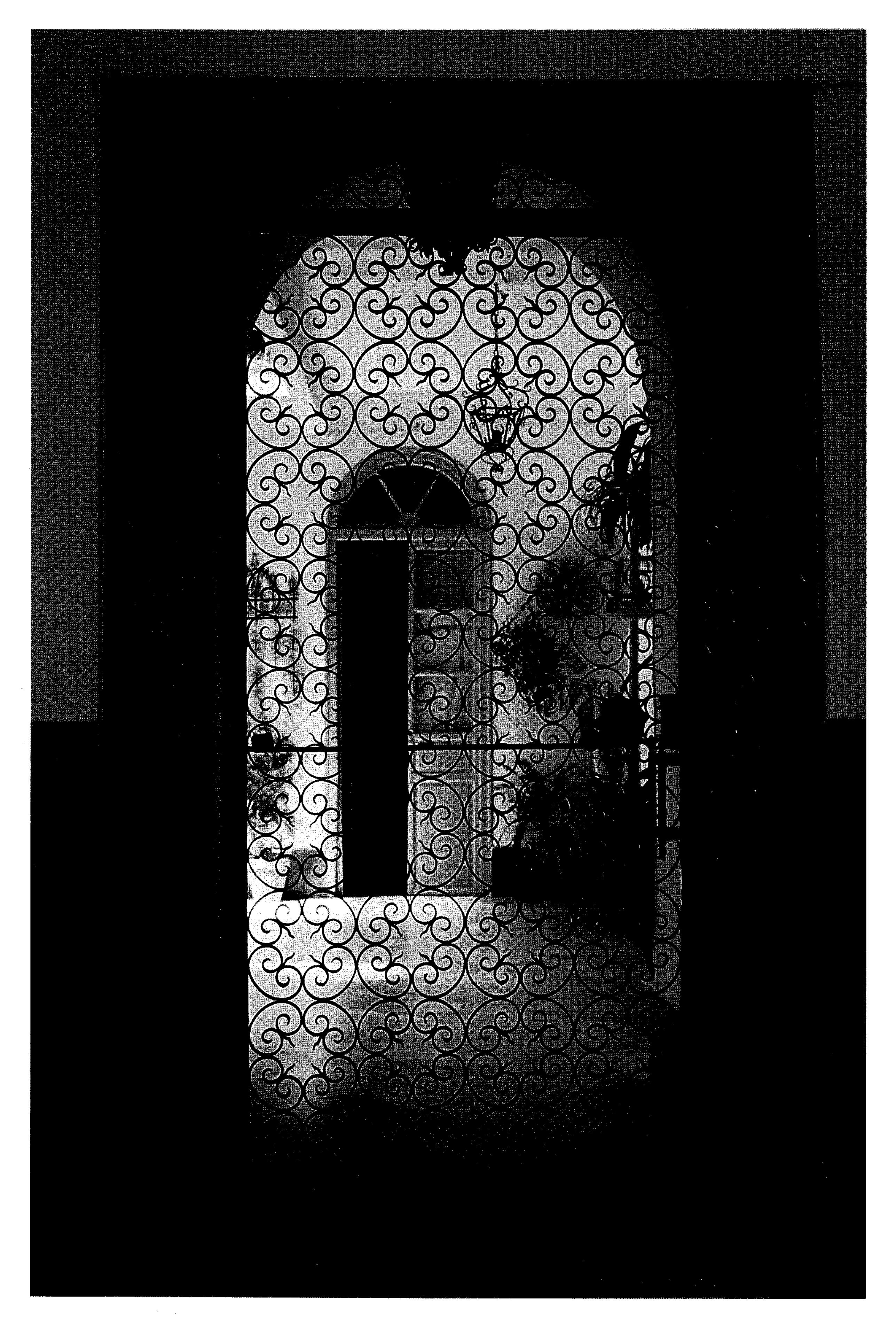
The main item of furniture is a long couch, with silver and gold embroidered on silk upholstery, which runs all around the room. The rest of the furniture consists of low tables and stools, inlaid with mother-of-pearl; chinese porcelain, silverwork, coffee-cups on delicate filigree saucers, incense burners, etc. stand in alcoves built into the very thick walls, against a background of inlaid marble or Persian ceramic tiles.

Such is the favorite retreat of the Moslem, a place full of cool, scented air, of light subdued by stained glass and a silence broken only by the ripple of water in the stone basin of the fountain...

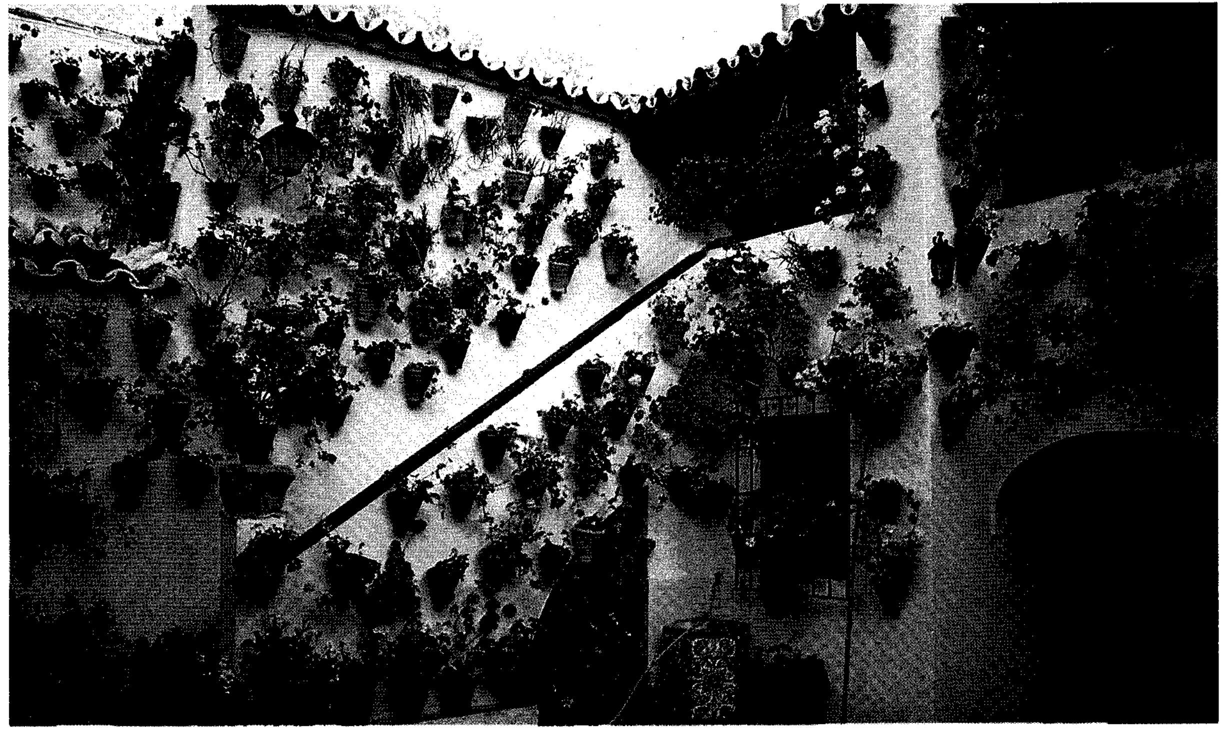
Seen from the outside, these houses look rather like huge blocks of white stone, with a terrace on top. The main source of light for the rooms inside is a courtyard surrounded by colonnades supporting a number of levels of galaries..».[24]

---

[24] G. Le Bon, «The World of Islamic Civilization», Editions Minerva, Geneve, 1974.









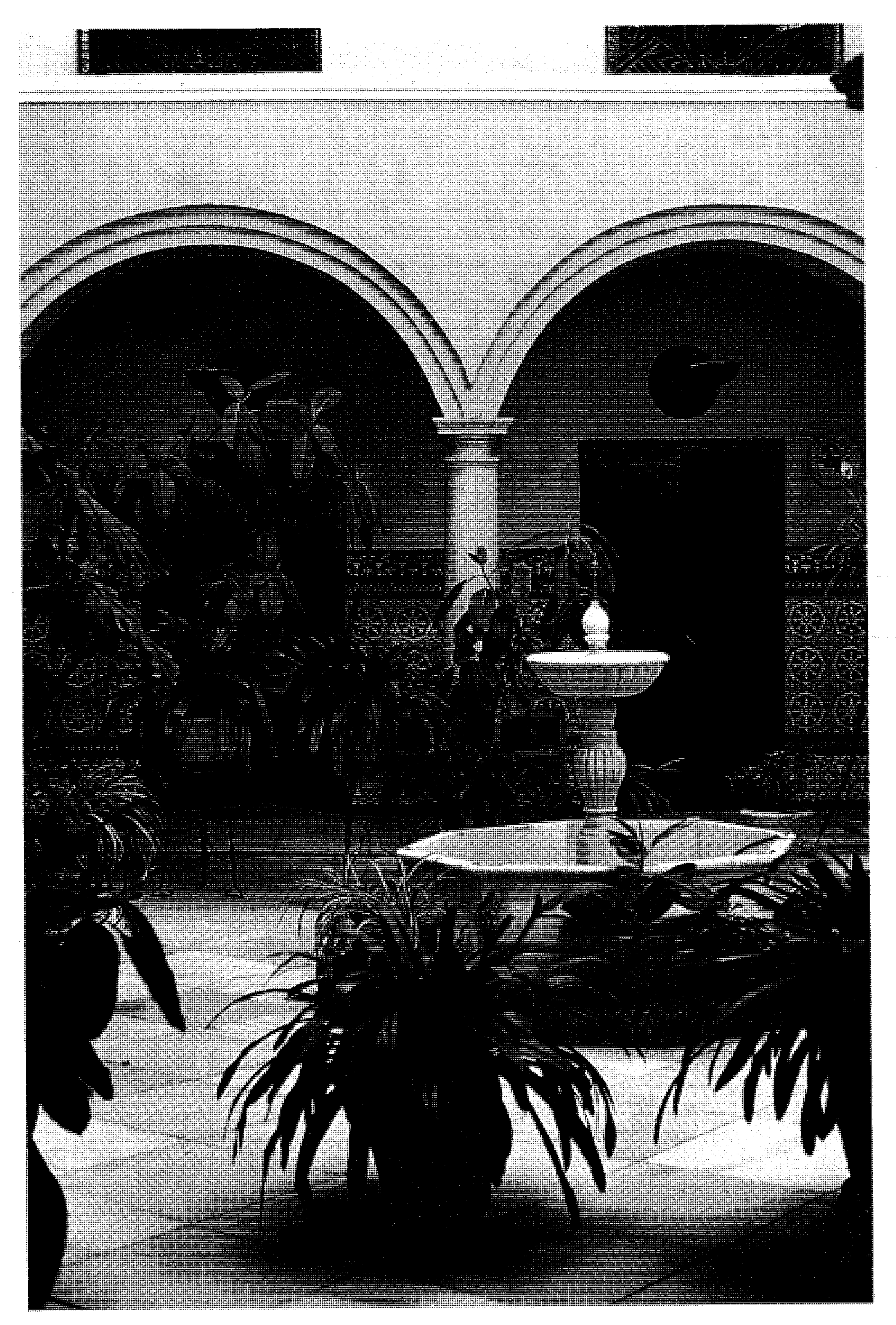
It is because of this ability to «feel» space that the individual responds to any given space, positively or negatively. In this respect, the patio home is normally inducive to positive «feelings», and «the serenity of an enclosed courtyard is not imaginary, it is not a piece of far-fetched symbolism, but a fact to be experienced...».[21]

Hasan Fathy continues his explanation about the traditional Arab home and the significance of its inner attributes. «The inward-looking Arab house, open to the calm of the sky, made beautiful by the feminine element of water, self-contained and peaceful (is), the deliberate antithesis of the harsh world of work... The Arabic name *sakan*, to denote the house, is related to the word *sakina*, peaceful and holy, while the word *harim*, which means 'women', is related to *haram*, 'sacred', which denotes the family living quarters in the Arab house».[22]

---

[21] H. Fathy.

[22] H. Fathy.





feeling of calm and security that no other architectural feature can, while in every case the sky is, as it were, pulled down into intimate contact with the house so that the spirituality of the home is constantly replenished from heaven.»[19] It is this spiritual aspect that is the source of amenity in the patio homes.

In these traditional homes the courtyard becomes the center of light and life, which emanates a spirit within, felt by the individual, directly or indirectly. It is this quality that is fundamental about space within the patio home. Hasan Fathy explains this aspect which is inherent in space. «In enclosed space, in a room or in a courtyard, there is a certain quality that can be distinctly felt, and that carries a local signature... This felt space is in fact a fundamental component of architecture, and if a space has not the true feeling, no subsequent decoration will be able to naturalize it into the desired tradition».[20]

---

[19] Hasan Fathy, «Architecture for the Poor», University of Chicago Press, Chicago and London, 1973.

[20] H. Fathy.

THE PATIOS

It is fortunate that the patio-homes still exist in Córdoba, although most parts of the city have undergone drastic changes without regard to Córdoba's special historical character. The traditional homes in Córdoba are found mainly in the neighborhoods around the Mosque. On the other hand, this style is disappearing in other cities, such as Sevilla, Granada and Málaga. If one day, Andalucia loses these typical homes completely, its heritage would be definitely diminished.

A living heritage of more than a thousand years, derived from a great and unique past, should not suffer the least damage or neglect, even in these rapidly changing modern times.

The patio-homes of Córdoba are very special. They are attractive and full of charm. To Córdoba and its people, they are a treasure. But, what is it that makes them so special? What is the secret behind this beauty, and the source of their charm? Why is it, that visitors from diverse cultures are attracted to the patio-homes, humble and simple as they are? It is not only because this style is different from the type of housing which the visitors are accustomed to in their own countries. The answers are many, but could be understood by learning about the aspects related to this style of architecture.

The patio is a space of peace and repose, it is cheerful and bright. The human spirit is at ease here, and the senses are in harmony with the tranquility which prevails within this humble space. The patio-style home generates a sense of balance and a feeling of calm, rarely encountered to the same degree in other styles (except the Japanese). Such a sense of equilibrium is essential in any community and within every home, and once it is encountered it is immediately felt. This is one of the secrets behind the natural attractiveness of the patio-homes of Córdoba.

The patio-home, painted white, looking clean and cared for, is in harmony with all the other neighboring homes. The patio, surrounded by the rooms of the house, filled with green plants, flowers of all colors, and natural light, is alive and inviting. There is a wealth of warmth and graciousness contained within the interior space of the patio.

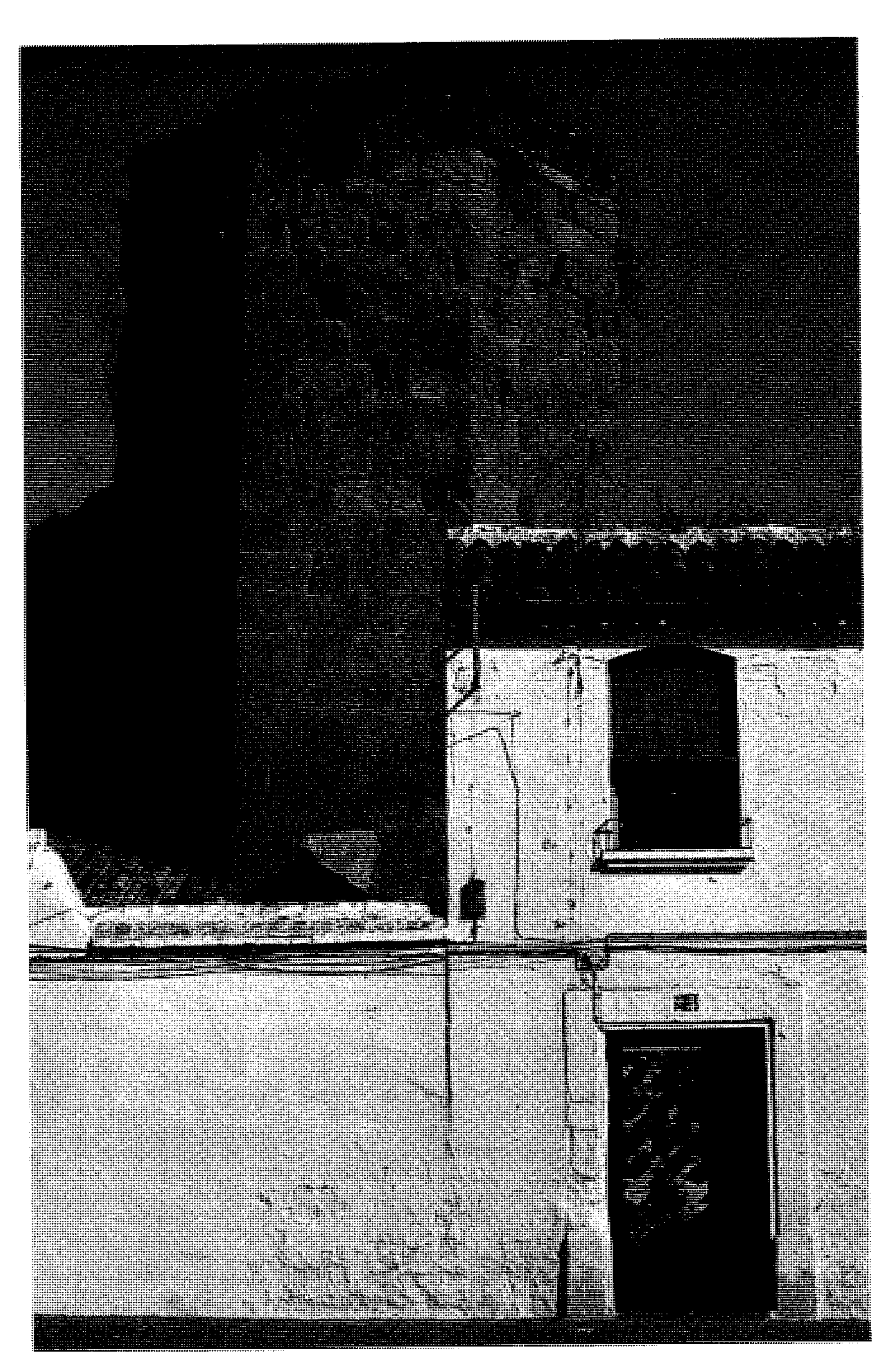
The evolution of the patio-home as the traditional style of architecture in Southern Spain is directly related in its origin to the courtyard-style home common in Arab and Muslim lands. This style is ideal, not only environmentally for climatic conditions, but also it is suitable socially, economically and even psychologically in such countries.

To explain the qualities and characteristics of the patio-homes in Córdoba, it is helpful to learn as much as possible about the various aspects involved in the typical Arab home, especially those aspects that are difficult to grasp at first, since this is where the style originated and developed. Hasan Fathy, one of the leading Arab architects, has studied this subject in depth, and offers the following explanation about the courtyard house. «The house is a hallow square, ...with all its rooms looking inwards into a courtyard from which oñly the sky can be seen. This courtyard becomes the owner's private piece of sky. The space enclosed by the rooms of his house can, at its best, alone induce a



«Culture springs from the roots
And seeping through to all the shoots
To leaf and flower and bud
From cell to cell, like green blood,
Is released by rain showers
As fragrance from the wet flowers
*To fill the air».**

* From «Architecture for the Poor», by Hasan Fathy.
University of Chicago Press, 1973.



rich contrasts of colour. When the sky is pure sapphire, and the landscape quivers with the heat, then you will see Córdova in a scene that will stamp itself forever on the imagination...».

«And as you linger to look at it all, the spell of the past falls upon you. You watch the delicious play of pure colour... Suddenly sleeping memories, so suggestive beneath the city's apparent quiet, seem to awaken the streets into blithe gladness. And before your imagination arises a vision of Córdova in the tenth century, when she gained the name of 'the Bride of Andalusia'. Córdova of the past is an idea to conjure with. For a moment all the history of the city, all its splendid, stately record holds your memory. For always in Andalusia more than half the charm rests in what you divine rather than in what you see.

And slowly, as a vision comes, a new city springs into sight–a great dream city spread between the Sierra and the river, with the whisper of the water on one side and the stillness of the mountains on the other; a city of wealth, of beauty, of glory, of learning, sending the influence of its culture like rain upon the earth».[18]

[18] C. G. Hartley, «Moorish Cities in Spain», C. Scribners Sons, N.Y. 1906.

decline from which Córdoba never rose again. Ironically, those who claimed that they «liberated» it, gave it the final destructive blow!

Yet, as Titus Burckhardt points out, there are still some areas where «the layout of the streets is reminiscent of the market area as it was in the time of Muslim rule, though today there would never be room for the eighty thousand shops and workshops that it once held. Gone are the public baths and the inns... The schools, where even the children of the poor received tutoring, and the many bookshops have all disappeared. Scarcely a trace remains of the palaces of the caliphs and the princes... of the many hundred mosques that once graced Córdoba, only the Great Mosque still stands. It is the oldest and largest, but it was altered so radically when it was transformed into a church that it is hard to imagine it in its former glory».[17]

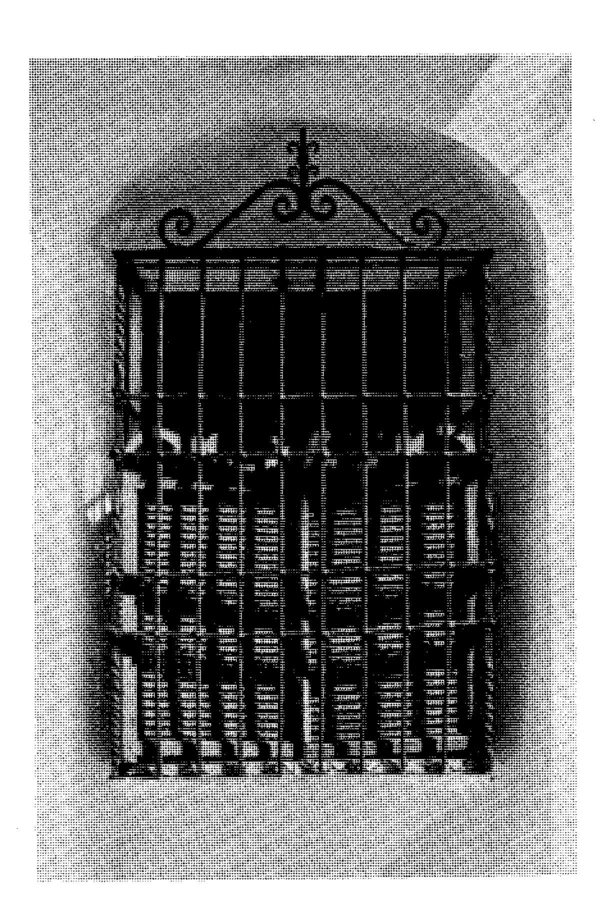
Córdoba today is a city of approximately 300,000 inhabitants. Modern high-rise buildings have spread over most of its neighborhoods, with some restrictions within the old parts. So, except for these typical old «barrios», Córdoba looks like any other city or town, with modern streets filled with vehicles and their fumes, lined with concrete buildings on both sides. The contrast between the traditional and the modern is striking. The former is relaxed and peaceful, the other is chaotic and tense.

The natural setting which Córdoba enjoys could provide it with the basic requirements for the creation of a beautiful city. Situated on the banks of the river and close to the foothills of the Sierra Morena Mountains, with an adequate supply of water and a mild climate, Córdoba could maintain a special beauty and charm similar to what it once experienced a thousand years ago. Today, for example, a highway with heavy traffic runs along the part of Córdoba adjacent to the river bank, where it is very difficult to walk or even to breathe, because of the traffic and exhaust; while, long ago this area was famous for its gardens, palaces and public parks. There are many problems that need to be solved with understanding and insight, for Córdoba to recapture the minds and hearts of citizen and visitor alike.

The following passages were written nearly eighty years ago by a woman-writer who visited Córdoba. She recorded her impressions and feelings of this unique city in her personal, poetic style early in this century.

> «Córdova is a city of sleep; it rests in a quiet and beautiful dream. There is an atmosphere grave, nay, almost sad, about it; and this impression comes unsought. You gather it as you wander about in narrow streets, or stand to gaze at the whitewashed houses, generally low, ...though here and there a vacant palace speaks of a great tradition broken; while perhaps, strongest of all, the feeling comes when, after a walk down the newly fashioned Paseo de la Victoria, you reach the Puerta de Almodóvar. Here the ruins of the Moorish walls seem... conscious of the separateness of the present from the past. And the stranger gazing from the desolateness and loneliness of these austere stones–almost all that is left of a great work of architecture–to the landscape beyond, with its superb view of the blue Sierra to the north and the Great River flowing in the south, finds the reason for the plaintive note that is never silent in Córdova».
>
> «The hot southern sunlight pours like a flood of fire over the scene, purifying and sharpening the outlines of the buildings, kindling answering lights, here and there, in the window glass and on the tiled roofs of the houses, flaming around the Moorish towers, lightening the whitewashed walls to dazzling clearness, and transforming the atmosphere into a blaze of brightness that calls up everywhere

[17] T. Burckhardt.



of order and military-type conformity. An analogy was made by Titus Burckhardt between the Islamic city and the human anatomy, in which «the mosque in the center is the heart of the city's body, the market with its access roads correspond to the organs of nutrition. While the inner courtyards and gardens of the residential areas fulfil the role of the lungs».[12] It is unfortunate that modern ways have brought drastic changes to such cities, where now, chaos and pollution (air, water, and noise) have destroyed the equilibrium which existed in the past.

These cities, growing naturally, were conducive to pleasant urban life. It would be interesting to see how the people of Al-Andalus lived in those days on all levels of society. The upper class must have set the example to be followed by the other classes. Anwar Chejne, a specialist on the history of Al-Andalus, wrote that the «Andalusian nobility and the rich lived in refinement and luxury. They enjoyed an urban life, taking pleasure in sumptuous palaces, mansions, gardens, country houses, and public baths. In the tenth century, Córdoba was, perhaps, the most cosmopolitan and sophisticated city in the Muslim World and Europe. It served as model for building and fashion».[13] He continues to describe the houses, and other buildings which were common then by adding that «ordinarily, the homes of the wealthy had two stories, gardens, and running water. It was fashionable to include an ample room for a library. Men of means had also their country houses *(munyah)* which were located in the suburbs or the countryside».[14]

Besides describing the houses in those times, he elaborates on the personal aspects of daily life, saying that «to this may be added a great refinement in personal care. There was a wide selection of clothes and jewels for men and women. Cleanliness was a daily practice maintained in private baths for the wealthy house-holds or in public baths which were a major feature in every city».[15] The hygienic attitudes, which are part of the Islamic teachings, show one of the differences between the ways of life in Al-Andalus and the rest of Europe, because then, the people «practiced regular bathing at a time when this was unknown, or frowned on, elsewhere in Europe».[16]

The thirteenth century marked the fall of Córdoba from Muslim hands. Many historical forces contributed to this tragic fall, and led to a period of sad

[12] T. Burckhardt.
[13] A. Chejne.
[14] A. Chejne.
[15] A. Chejne.
[16] D. Stewart.

ments took place, among them was the construction of the first part of the great mosque of Córdoba. He also had many species of plants, flowers, and trees brought from the East and introduced to the Iberian Peninsula. He encouraged learning and supported scholars and artists. In short, his arrival to Córdoba was crucial to the historical course of Al-Andalus and its people.

In the beginning, the ruling Bani Omaya lived in the city itself, in a Cordoban palace, in addition to a summer residence called *al-Rusafa,* «after one outside Damascus built by the grandfather of Abd-al-Rahman I. But to fit his new style, and because Córdoba had grown, Abd-al-Rahman III decided to construct a palace-city three miles to the west of his capital on the lower slopes of the Sierra Morena...»[7].

This palace-city was named *Al-Madina Al-Zahra (Al-Madina:* the city, *Al-Zahra:* the flowering). It illustrates the great growth and development of Córdoba during the tenth century. It included the palaces and gardens of the ruling family, governmental offices and buildings, and military quarters, in addition to all the required services and commercial activities, which even included farms and agricultural production. *Al-Madina Al-Zahra* was built three centuries before the construction of the *Al-Hamra* in Granada, and it was four times as large. Today it only exists in ruins.

In terms of civilization and cultural achievement «Córdoba fostered a society whose harmonious complexities have few parrallels; the various layers that made up this society exhibited a way of life such as had not been lived before on Western European soil and has not been lived since».[8] Such a statement sums up the uniqueness and greatness of Al-Andalus. No wonder both words «auge» and «zenith», expressing ultimate height, come from the Arabic.

It has been recorded that Córdoba had «1,600 mosques, 900 public baths, 213,077 homes for the general populace; 60,300 mansions for notables, ...and 80,455 shops».[9] Some argue that these figures are somewhat exaggerated. In any case, «however exaggerated they may be, these figures give us an idea of the high development and vigor of urban life under Muslim rule».[10]

In order to become familiar with how Córdoba might have been, and to be able to imagine how it looked in those days, it is helpful to learn something about the design of a typical Islamic city. Titus Burckhardt, one of the European specialists on Islamic Art and Architecture provides us with such a description:

> «The nucleus was usually the market, consisting of a tight web of narrow alleyways with row upon row of shops. Beside the various forms of commerce, all the minor crafts were also to be found here, each one in its own street or quarter. The market usually surrounded the main mosque, or lay close by it. There are usually a few wider streets leading from the city gates to the market... The residential quarters stretched from the market out to the city walls. They were not built to any specific plan–the clusters of houses simply grew together according to the requirements of families... Light and air entered the houses by means of the interior courtyards, which were sometimes extended into walled gardens».[11]

Islamic cities grew organically according to the needs of the people. This growth is free and natural and is the secret of its success and the people's affinity to it, in contrast to the grid and axial plans which impose a rigid system

[7] D. Stewart.
[8] D. Stewart.
[9] A. Chejne.
[10] A. Chejne.
[11] T. Burckhardt.

CORDOBA

Córdoba is a very special city, it is unlike any other city or town. Yet, its role in history has been frequently underestimated. Very few historians have given it the attention it deserves as a major bridge of culture and civilization between the East and the West during the Middle Ages. This historical role that was significant in the cultural and scientific development of the modern world is incorrectly attributed to other areas in Europe. It has become widely circulated that it was the «Renaissance Age» in Italy that was crucial to civilization in the West. In reality, it was Al-Andalus and its capital, Córdoba, that played the major role in transferring knowledge and science to Europe.

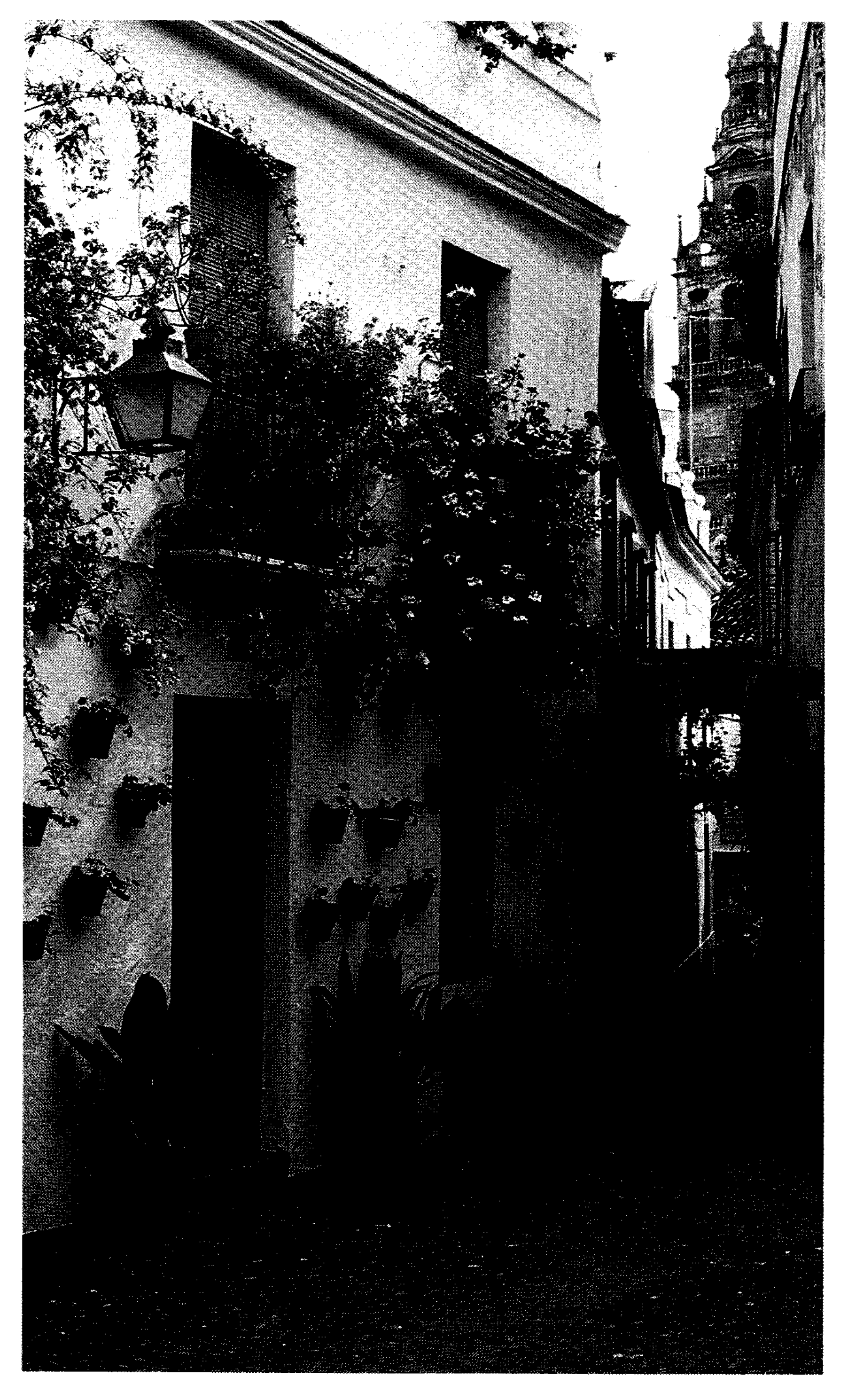
The important works in science, medicine, literature and other fields were known in Al-Andalus. After 1130 Toledo became the major center for translating some of these works from the Arabic. It was by this process, which lasted for a few centuries, that the material was transmitted to other countries in Europe.

It has been said that the Amir Al-Hakam II, who ruled in Córdoba from 961 to 976 A.D., had in his library 400,000 volumes. He sent emissaries to Alexandria, Damascus and Baghdad to search for books and bring them back to Córdoba. Andalusians themselves became highly educated, and Al-Andalus produced great thinkers who generously contributed to civilization and humanity.

This interest in learning among the rulers and the population led to the well-being of the country. Life improved and Córdoba grew in population and size. «In the tenth century, at the height of Córdoba's flowering... the city had more than a million inhabitants, and was surrounded by a cluster of small townships and villages that spread over the fertile plain of the Guadalquivir.»[6]

At this point it is only fair to mention a man who dedicated his life to Córdoba and Al-Andalus. The history and destiny of Al-Andalus (and that of Córdoba) might have been quite different if it was not for this remarkable leader, who is seldom given the credit he deserves. It is to him that Córdoba owes its greatness and fame. He is the Amir Abdul-Rahman I, who was a descendant of the ruling Omaya family, originally from Macca, but who ruled from Damascus. He escaped to Al-Andalus as a young man, in the middle of the eighth century, after the fall of his family from power in Syria. With the help of a number of friends and allies he managed to take control of the government in Al-Andalus, which was unstable at the time. He worked hard to establish an independent and strong state, which he and his successors maintained for a number of centuries. He must have had in mind the transformation of Córdoba into another Damascus as a great cultural and influential capital. During his rule new buildings were constructed, using the architectural style he was familiar with in the East. Under his direction, many develop-

[6] Titus Burckhardt, «Moorish Culture in Spain», Allen and Unwin Ltd., London. 1972. «La civilización hispano-árabe», Alianza Universidad, Madrid, 1981.



It is also important to point out that the Muslims who came to Al-Andalus were only a few thousands, and it was the native population who chose Islam as a religion, in growing numbers, as time progressed. According to some estimates, the population of Al-Andalus, at its height, was in the range of 18 million. Therefore, it is possible to say that although the civilization in Al-Andalus was inspired and influenced by the Arabs and Islam, it was the Andalusians, themselves, as a whole, who built it and contributed to its growth.

Many writers and historians were impressed by the beauty of Al-Andalus, and recorded its history in detail. Arabic literature included many works on all aspects of life and culture. Several «authors began repeatedly to recount the merits and wonders of Al-Andalus and to describe them in glowing terms. The marvels include its topography, mountains, rivers, valleys, resources, fruits, vegetables, brooks, and groves; its people, their character, qualities, religion, customs, and above all the men of letters; its cities with their palaces, promenades, gardens, bridges, streets, baths, mosques, estates, and so forth».[3]

This new life had a rich heritage to draw from, which was conducive to the unique developments that took place in Al-Andalus. It was a heritage of generations of experience which gave rise to the Islamic culture in the East. «Muslim institutions and intellectual life in Al-Andalus were patterned after those of the East. The Eastern influences are quite discernible in the political organization, treatment of minorities, agricultural and economic policies, art and architecture, customs, and, more significantly still, in the various intellectual manifestations of the Arabic language, which often transcended ethnic and religious boundaries, although they were deeply influenced by Islamic thought».[4]

Al-Andalus and its cities gained great fame and reputation, especially in the tenth century. Each city, such as Córdoba, Sevilla, Toledo, or Granada, was beautiful in its own way, although as Andalusian cities they shared a great deal in common. The homes in these cities and towns reflected the peoples' appreciation of simplicity and traditional ways in their urban environment. «The Andalusians were highly urbane yet they had a great love for nature and beauty. These two qualities are quite evident in their arts and architecture».[5]

---

[3] Anwar Chejne, «Muslim Spain: Its History and Culture», University of Minnesota Press, Minneapolis, U.S. 1974. «Historia de España musulmana», Ediciones Cátedra, Madrid, 1980.

[4] A. Chejne.

[5] A. Chejne.

Al-ANDALUS

Al-Andalus is the Arabic name of all Muslim territory throughout the Iberian Penninsula (Spain and Portugal) from 711 A.D. until the fall of Granada in 1492. At its height, Al-Andalus included all of the Iberian Penninsula, in addition to the Balearic Islands, with the exception of the mountainous region in the extreme north of the peninsula.

For many centuries before the «discovery» of the Americas, the Iberian Peninsula was thought of as the extreme west in relation to the other lands of the Mediterranean world. It was the «frontier» land of the «Old World». It is fair to say that it was the «melting pot» of many people from diverse origins.

The Iberians were one group who came from the East across North Africa and settled in the «West». The Phoenicians were another group who travelled over the Mediterranean from its Eastern shores about three thousand years ago. As traders, they established many seaports and other towns, as did their descendants, the Carthaginians. «The Iberian Peninsula had been subject to influences from the eastern Mediterranean long before the arrival of the Arabs. From around 1100 B.C. the Phoenicians had traded with Spain. This remarkable people from what is now Lebanon founded Gades (the modern Cadiz), which has been called the oldest town in Europe to maintain continuity of life and name».[1] Gades was only one of the many ports and cities that the Phoenicians and Carthaginians established all over the Mediterranean coast. Gades, for example, was named after a sacred valley in Lebanon called *Qadish*.

This process of movement and settlement never came to an end. As life went on and continued, this process also continued. Other people came to the peninsula from the North at different periods of history, among them the Celts, and a number of Germanic tribes. The Greeks and Romans also entered Spain, mainly from its eastern coast.

In 711 A.D. the Muslim armies defeated the ruling Visgoths (western Germanic tribes), and began a new era in the Iberian Peninsula which later on transformed the area into one of the greatest in the world, and a most exquisite civilization flourished in what became known as Al-Andalus in Islamic times. This event was crucial in the development of the history of Western Europe. Al-Andalus «was enabled to become a major bridge between West and East precisely because it saw itself as part of a vaster whole; although a separate state, it was not exclusive in the manner of modern nations».[2]

All these historical facts show that long before the arrival of the Muslim Arabs to the peninsula in 711 A.D., the native population was at least partially of Ancient Arabic origin, especially in the Southern and Eastern regions.

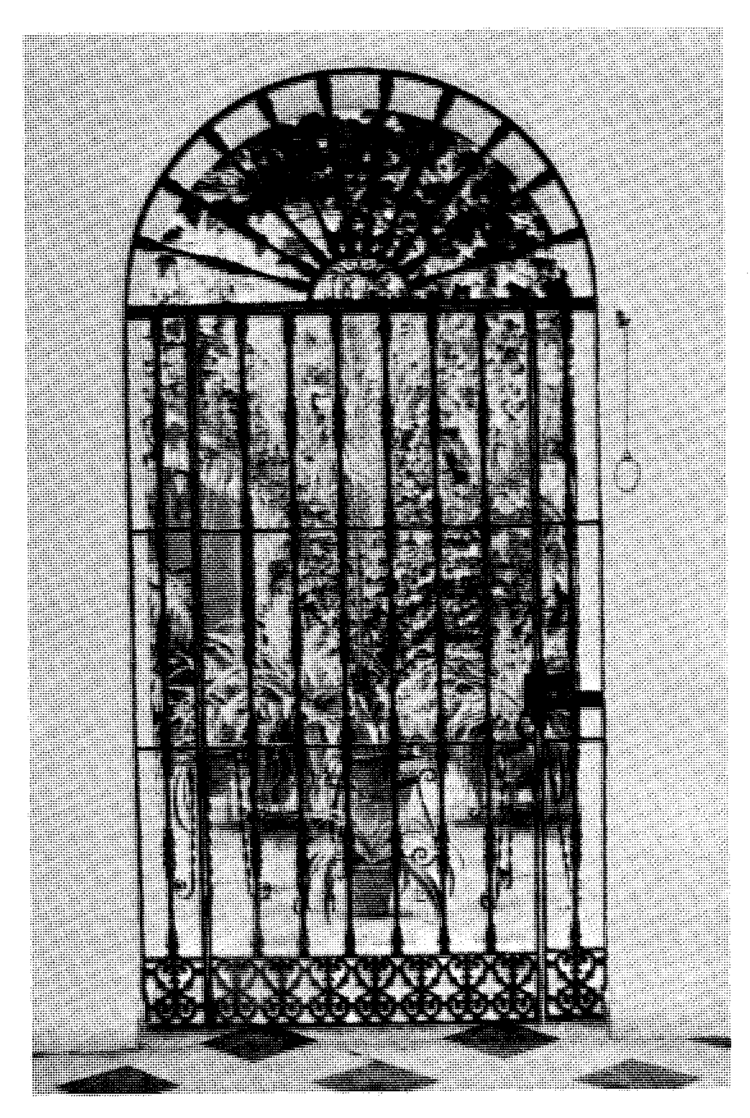
---

[1] Desmond Stewart, «The Al-Hambra», Newsweek, N.Y. «La Alhambra», Selecciones del Reader Digest, Madrid, 1974.

[2] D. Stewart.

Many cities were established and built by Muslims, and older ones grew and flourished. Córdoba, and other Andalusian cities were among many that were transformed to become beautiful Islamic cultural centers.

The courtyard style home has been associated with the Arab culture for generations. Since the earliest times, the Arab people have built their homes according to this style using adobe, bricks, and stone, It has become their traditional style in many regions for its environmental suitability, in addition to its beauty and practical adaptability. This style became popular in many countries, from Spain to India, with the spread of Islamic culture.



THE ANCIENT EAST

There have been some archaeological discoveries in Jericho *(Ariha, Palestine)* of dwellings and stone city-walls that date back to 10,000 years ago. It is one of the oldest prehistoric urban communities unearthed to date. The remains found, show that a degree of civilization existed in that part of the world so early in history. This was thousands of years before the construction of the Pyramids in Egypt, and proves that the history of civilization in the Middle East is so old that what we know today is only a fraction of what is buried deep under the layers of this ancient soil.

The roots of the Arab people and their culture extend deep into that past. The old civilizations in ancient Iraq, in ancient Syria (including Lebanon and Palestine–home of the «Phoenicians», *Canaan-Aram* tribes), and ancient Yemen, among many others, were of the same origin. All of them built great states and cities and created a wealth of art and architecture very early in history.

Most famous in the West are the «Phoenicians»–the ancient Arabs of the Eastern Mediterranean coast. As the world's leading traders, they travelled on their ships as far as the Iberian Peninsula in the western Mediterranean and across the strait of Gibraltar to the Atlantic coasts of both Africa and Europe. Their descendants, who settled in Carthage (Tunis), and extended their rule to Spain, carried on with the same role in later generations.

Along with their commercial activities, they introduced their civilization to most parts of the Mediterranean. Their culture became the predominant one, and later on was transmitted to other lands beyond the Mediterranean regions. The ingenious invention of the alphabet system (these same letters that are universal now), is only one example of the Phoenicians' great cultural contributios thousands of years ago.

The process of civilization continued in the Middle East in a series of related historical periods, one phase leading to another, following a cycle of rise and decline, until the rise of Islam early in the seventh century. This historical event was crucial to humanity as a whole, because the world was in a state of chaos and decadence then. Islam spread fast and wide in the world, and was accepted as a religion by millions of people. And soon Islamic civilization reached great heights in many parts of the world. Trade and production of quality goods flourished again more than any time before. The development and use of the science of mathematics, which is known worldwide and applied today, represents one of the outstanding contributions and achievements produced by Muslim scientists.

Islamic civilization also produced a beautiful and unique architectural style. In this style many useful ideas and elements were derived from the past and were refined along with new ideas.

Islamic architecture became an essential part of the culture and way of life. A dynamic building process took place in most parts of the Muslim world.

THE ANCIENT TIMES

The first display room of the Archaeological Museum in Córdoba shows stones and artifacts left by the early inhabitants of the area who lived in caves during prehistoric times that date back as far as 350,000 years ago. The valley of the Quadalquivir *(Wadi-Alkabir)* River, where Córdoba lies, must be one of the earliest areas to be inhabited on the Iberian Peninsula. Where there is water there is life. Since the very beginning, the river probably played a major part in the lives of the early inhabitants. The importance of this great river must have grown drastically after the agricultural revolution that began in the Middle East many thousands of years ago. Knowing about agriculture and farming methods, our early ancestor began to settle in urban communities, and built towns and villages of which some grew to become large cities. The spread of agricultural knowledge proves the early contacts that existed between the Middle East and the Iberian Peninsula since ancient times. These contacts involved all aspects of life including cultural, social and spiritual ideas, which shaped the lives of the people. This process of continued contact with the East, took place over a long period in the form of continuous historical waves, both of people and ideas and with them ways of life. Yet, such a process of development over the ages slowly produced a certain life style which was distinctively Andalucian, and later on became characteristic of Al-Andalus and its traditions.

Of all the historical influences, the Muslim culture had the greatest impact on the character of Córdoba. It was during the centuries of the Islamic civilization in Al-Andalus that Córdoba rose to the level of a great cultural capital.

The patios of Córdoba retain the spirit of these traditions that are rooted in the deep past. They still reflect the life style that existed more than a thousand years ago. The pleasant memory of the past still dwells within these gracious patios. How long they will endure is difficult to say. While others talk about space age and technological «progress», the patios of Córdoba continue with the tradition of simplicity and peaceful existence on a basic human scale, uniting the present with a heritage that is thousands of years old. Being within these patios with the sky visible above, surrounded by plants and flowers, the artificial mechanized world is forgotten. The patio environment creates a reflection of times past which intermingles with the present, producing a sense of balanced stability–in the mind and spirit; a state of being that is becoming rare in this nuclear age!

INTRODUCTION

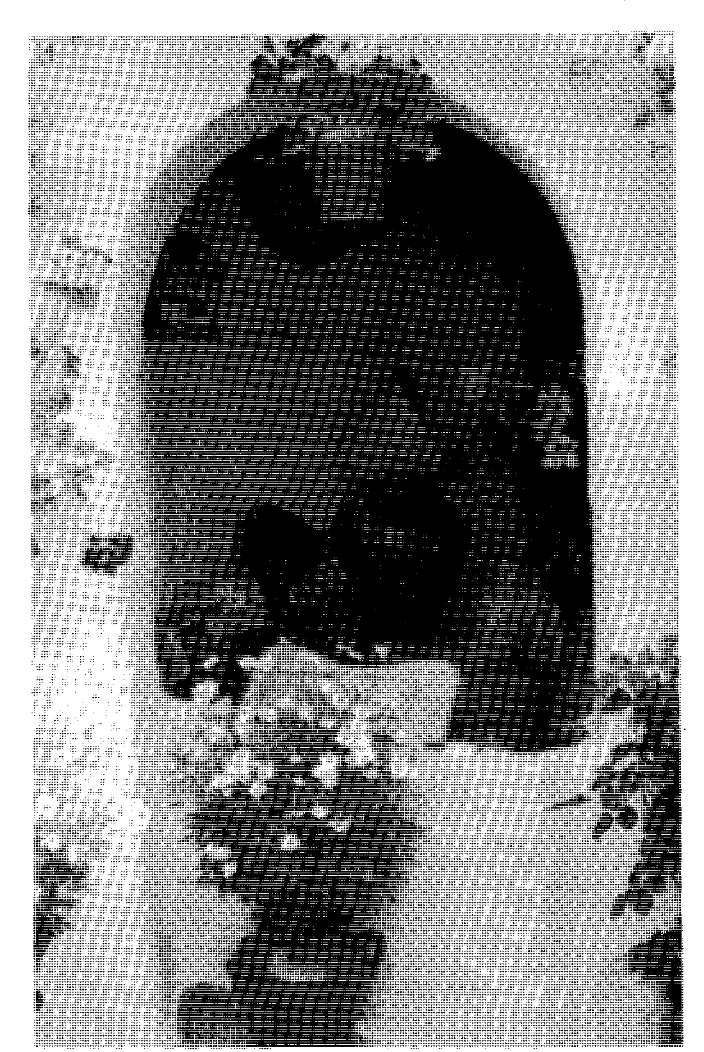
To know about the traditional patios of Córdoba it is important to learn something about Córdoba itself, its historical past, its culture and traditions. It is essential to understand the historical circumstances that collectively created the special role and destiny that Córdoba played in history, not only within the Iberian Peninsula but also in relation to other parts of Europe.

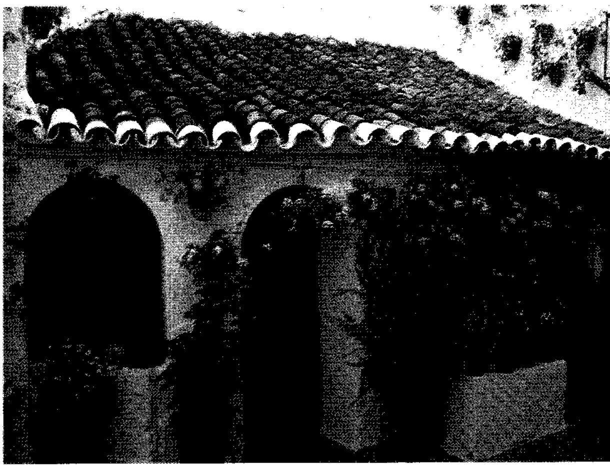
Córdoba became the most beautiful city in the Western Mediterranean more than a thousand years ago–during the height of the Islamic civilization in Al-Andalus. Its culture and level of civilization were unequalled in Europe during the Middle Ages.

Córdoba contained many beautiful houses, palaces, markets, baths, gardens, libraries, schools and mosques. Poets sang about the beauty and harmony found in Córdoba and throughout Al-Andalus. Writers and historians wrote about its uniqueness and importance. Admirers from other countries were impressed by its cultural achievements and way of life.

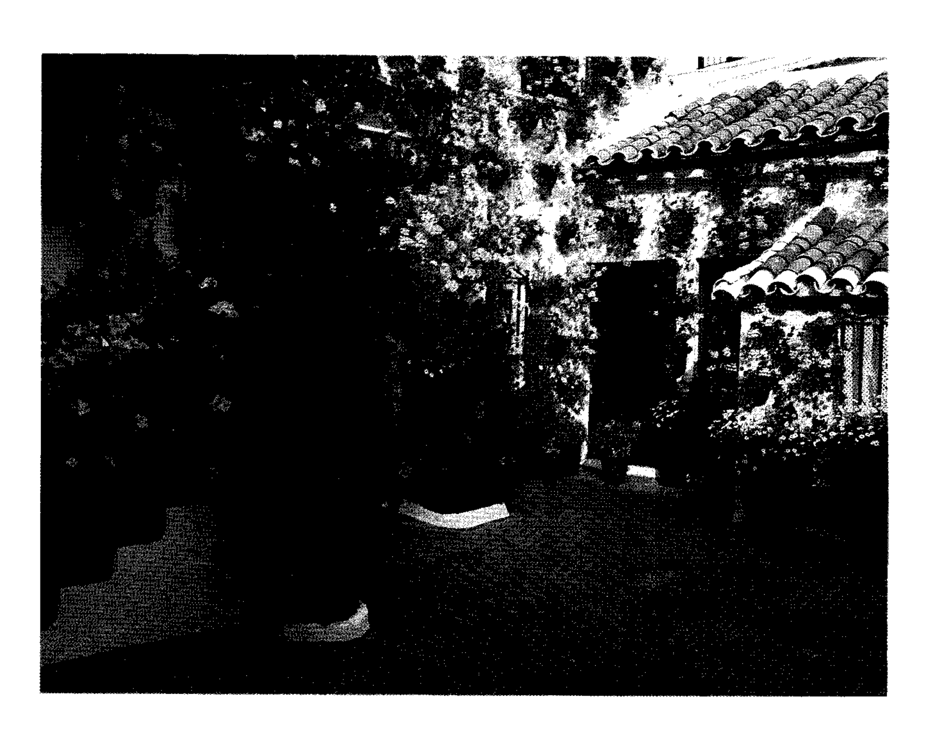
Today, hundreds of tourists visit Córdoba daily. They come to see its historical monuments, and become fascinated by the attractiveness of its cheerful and simple traditional patio-homes. These patios possess a character and charm all their own. Visitors of all nationalities express their delight and admiration when they see these special homes. This enthusiasm and appreciation among the visitors who come to Córdoba, combined with the local love and care, has helped to preserve the patios from extinction. Now they are considered as an important touristic asset. An annual patio-competition is held in the spring (May) of every year, to choose the most beautiful patios. The winners receive generous monetary prizes. The patio-competition is one of the major annual events unique to Córdoba. Most of the photographs in this book were taken during the 1982 competition. This special event is followed by the colorful spring feria of Córdoba, with authentic flamenco singing and dancing, when the true Andalucian spirit comes out!





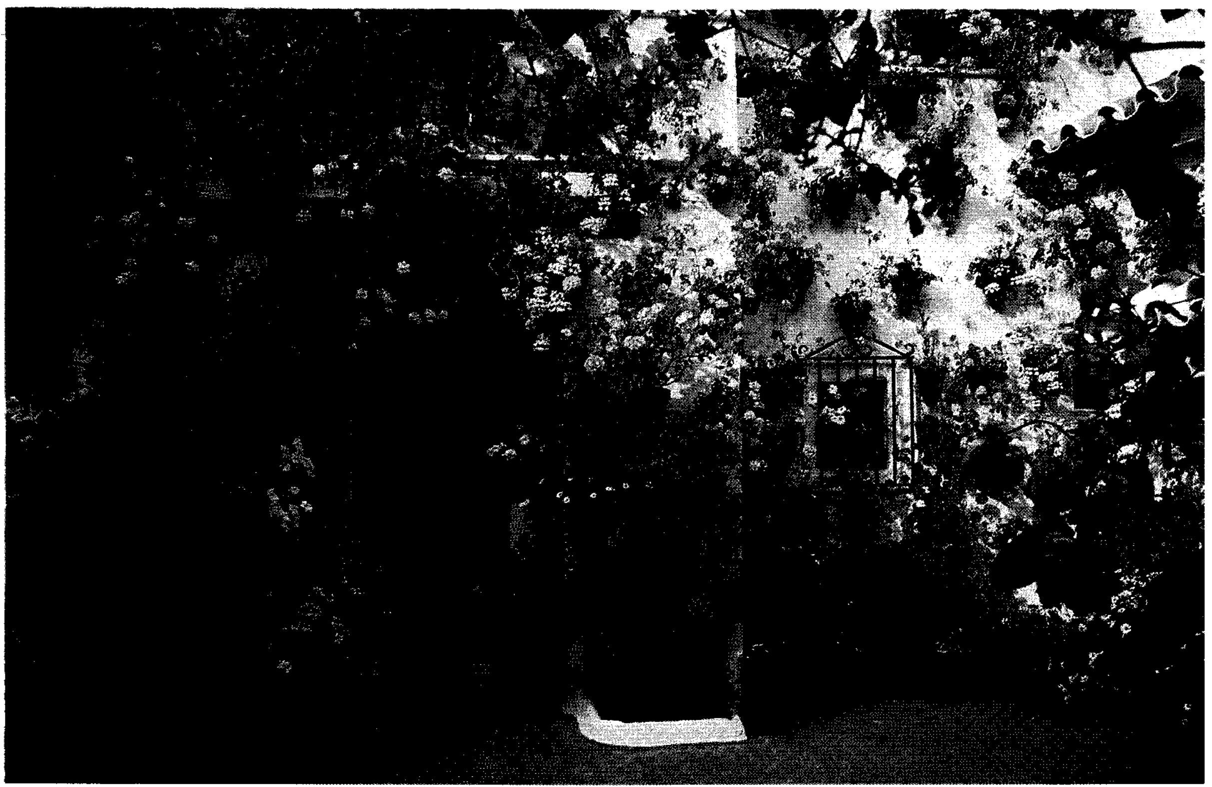


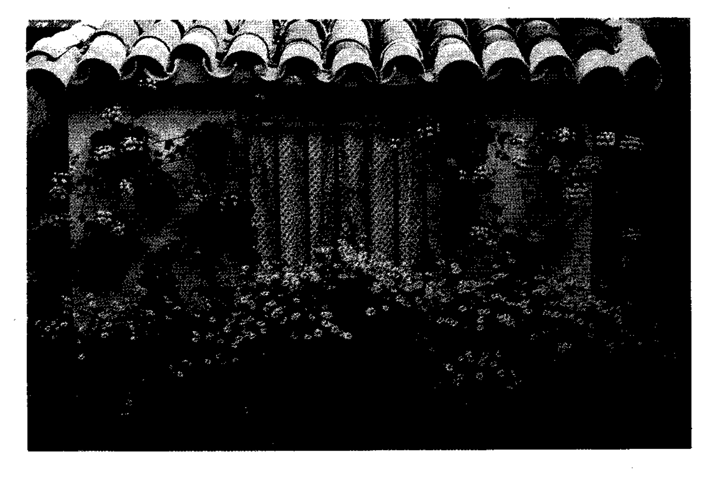


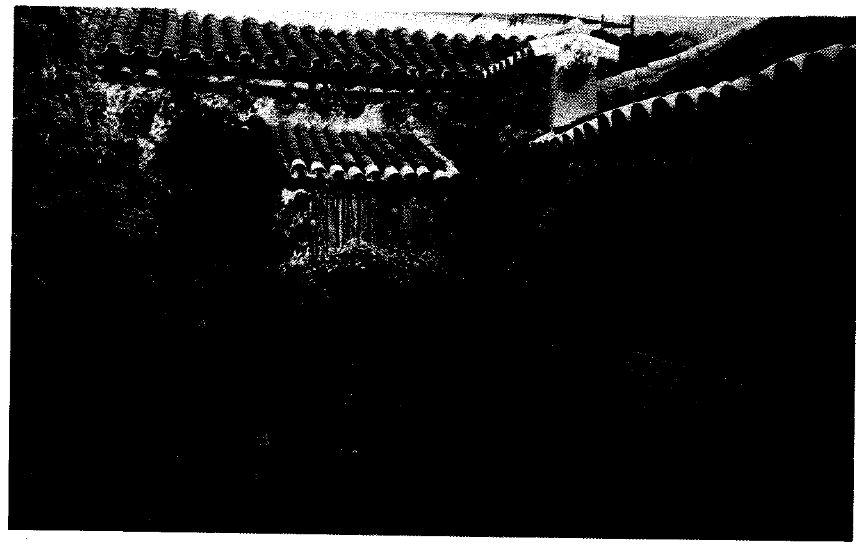








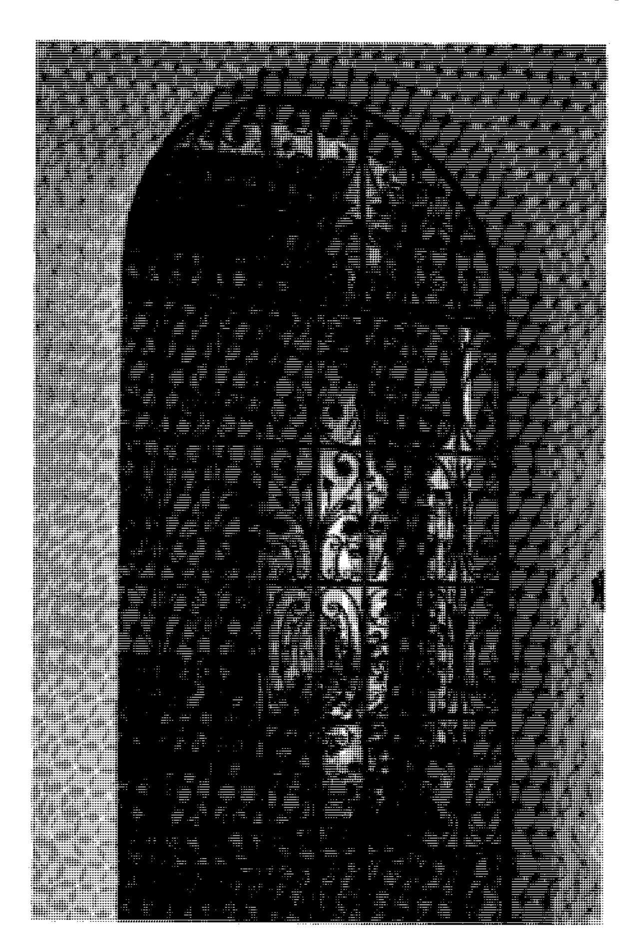




Las casas con patio como estilo arquitectónico, tiene miles de años, siendo parte de un largo proceso cultural que se extiende a muchas tierras. Es parte de una forma de vida llena, que se desarrolló para reunir las necesidades físicas y sociales en una escala humana. Una forma de vida simple, práctica, y rica en tradiciones, no debería ser destruida y desechada, porque es algo del pasado.

Hay unas grandes cosas que se pueden decir en favor de las casas con patio. Sus cualidades y ventajas son numerosas y conducen a una vida sana. Su simplicidad y espiritualidad son el secreto detrás de su belleza y encanto. Los elementos naturales: luz, aire, agua y plantas, que están siempre presentes en el patio, atrae a la gente de todas las culturas; estos elementos son frecuentemente ignorados o excluidos en los sistemas «modernos» de construcción y planificación.

El valor del estilo está siendo ciertamente reexaminado hoy, así, nuestra generación y las que vienen, redescubren sus positivos méritos y cualidades. Pero los cambios modernos son tan rápidos y en general, que las casas con patio no podrán sobrevivir por mucho tiempo. Y si ellas desaparecen en el nombre del «progreso», serán una gran pérdida más que ganancia.



CONCLUSION

Las casas y calles de Córdoba son el fruto de un largo proceso natural de crecimiento de una comunidad urbana. Este proceso era típico en las tradicionales ciudades árabes y musulmanas desde tiempos muy antiguos y hasta muy reciente. Actualmente los modernos «urbanistas» destruyeron muchas tradiciones de esta larga herencia, aplicando sistemas de planificación superficial y consecuentemente introduciendo caos e inconveniencias.

El sistema natural respeta por igual dos factores principales, el primero es la condición natural del área, y el segundo, las necesidades de los habitantes. Mientras los sistemas modernos, en realidad ignoran estos dos factores básicos y dan prioridad a otros factores (incluido el automóvil por ejemplo), como si la tecnología pudiera proveer la solución a todos los problemas. Es frecuentemente ignorado el hecho de que la tecnología por sí misma crea problemas. Esta observación fue hecha por un profesor chino en un comentario acerca de las sociedades occidentales, especialmente la de los Estados Unidos «ahora tienen super-autopistas, producción de automóviles en masa, y uno o más vehículos por familia. El resultado de esta extrema conveniencia es inconveniencia, congestiones de tráfico, carencia de estacionamientos, contaminación ambiental y el alto costo de los automóviles y el combustible».[28] Tal enfoque es extremadamente miope, sin embargo está extendiéndose rápido en muchos países, destruyendo su cultura tradicional. Parece que lo que el mundo realmente necesita es algo de sabiduría oriental más que tecnología occidental.

Aquí en los viejos barrios de Córdoba, uno puede vivir una vida simple, feliz, sin la necesidad de un automóvil y sus costos, tensión, y otros problemas relacionados con ellos. Caminar es aún posible en la vida diaria, sin sentirse necesariamente en desventaja. El verdadero progreso no es el acto de acumular objetos. Hassan Fathy provee un ejemplo para aclarar este punto diciendo que la civilización «debe ser medida por el tipo de lo preciso para vivir y el tipo de hábitos que una persona tiene, no por el costo de sus posesiones. Un hombre puede poseer una afeitadora eléctrica, y no por eso es más civilizado que otro que tiene una vieja navaja; ambas afeitan, y eso es lo suficiente».[29]

Entre el sur de España y el norte de la India hay miles de millas, unos siglos atrás, fueron dos extremos de un mundo musulmán. Las casas con patio era el típico estilo arquitectónico en la mayoría de estas tierras, antes del impacto de las formas modernas. Un respetado escritor de la India del norte da un discernimiento a la filosofía que esconde la tradicional arquitectura musulmana en su tierra, diciendo «este es un acercamiento de gozo, no de pesar, un sentido de alegría que es creado por una apreciación del mundo y no mirándolo como un mal».[30] Por eso, es una pérdida cuando tal enfoque es sustituido por otro, dando como resultado incómodos edificios modernos. Cuando algo bonito desaparece en cualquier cultura es una pérdida no sólo para la gente de esa cultura, sino también para el mundo entero.

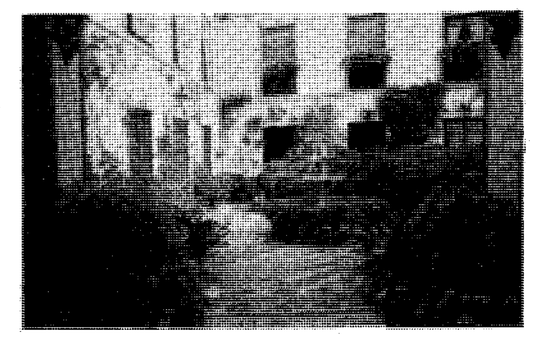


34

das para peatones o para coches de caballos. Nunca fueron originalmente pensadas para motocicletas o automóviles, lo que hoy este tráfico es incómodo y con riesgo. Por su pequeña anchura, las calles pueden ser fácilmente mantenidas limpias. Muchas veces mujeres se ven limpiando la área frente de sus casas como si fuera parte de la casa. Otras ventajas de esta estrechura le hace más frescas en el verano, siendo sombreadas, y relativamente tibias en invierno, por no ser expuestas a los vientos fríos. En la noche, las calles son suavemente iluminadas por típicas farolas. Muchas de estas calles están repletas de gente, especialmente en el atardecer. Tan atractivas y llamadoras como estas calles tienen un problema creciente, que es el número de perros en las calles que causan problemas sanitarios, y privando a la gente del placer de caminar.

Pequeñas plazas son el resultado de la interrelación de los espacios entre las casas y las calles. El espacio abierto de la plaza, y especialmente si hay algunas plantas y una fuente crean un agradable espacio público.

Sevilla todavía tiene unas pocas casas con patio que son similares a las de Córdoba, mayormente en las áreas cercanas a la Giralda. Localmente se sabe que hay una diferencia entre los patios de estas dos ciudades. Esta diferencia está en el tamaño del patio mismo. Es decir que los patios en Córdoba tienden a ser más pequeños que los de Sevilla. La razón es que Córdoba es relativamente más fresca que Sevilla, tanto en el invierno como en el verano, debido a su mayor elevación y proximidad a las montañas. En el invierno un patio más pequeño está menos expuesto al clima frío, por lo tanto, retiene más calor en su pequeño espacio resguardado. Mientras en Sevilla, la mayor área en el patio permite más ventilación y circulación de aire, lo que provee una mayor pérdida de calor. Esta es una regla que probablemente no es aplicada a todos los casos, debido al particular extensión del solar. Sin embargo su importancia está para mostrar la tradicional consideración de factores climatológicos que condicionan el ambiente hogareño, que son un elemento esencial en la creación de la casa, y como Hassan Fathy expone «un bello diseño debe servir a las más mínimas necesidades del individuo, si estos diseños son de materiales apropiados en su ambiente, y útil en su trabajo diario, deben ser necesariamente hermosos».[27]



Otra ventaja importante del estilo arquitectónico de las casas con patio, es que es económico en cuanto a construcción y conservación. En estas casas no se desperdicia ni el más mínimo espacio, todo el solar es usado. Una pequeña área de tierra sería suficiente para la construcción de una compacta pero complaciente casa. Hay algunas casas con patio en Córdoba, con dimensiones de menos de diez por diez metros. Esto significa que un área de menos de cien metros cuadrados serían suficientes para albergar a una familia. En este caso, la casa tendría dos pisos; el primero para la vida diaria, y el segundo piso para dormir. El patio, aunque tiene una pequeña área, provee a la casa la parte abierta que elimina el irritante sentido de restricción.

Los materiales de construcción usados en esta arquitectura tradicional son naturales y apropiados para las condiciones climáticas. Estos materiales están hechos de tierra arcillosa, que es encontrada en las localidades en abundancia. Ladrillos, tejas, y losetas, vienen de este útil material natural.

El mármol es usado en algunas casas para cubrir los suelos o parte de las paredes, es también usado para columnas y capiteles. En el pasado, estos capiteles eran decorados con tallado e incrustaciones modeladas.

Azulejos coloreados son una adición útil a la belleza de estas típicas casas. Aunque son usados en forma mínima visualmente son atractivos, especialmente cuando llevan las tradicionales figuras geométricas orientales.

Aunque estos materiales naturales de construcción son aún usados extensamente, el uso de materiales modernos, algunos más bien inferiores en calidad, está creciendo, especialmente en partes modernas de la ciudad.

La madera era usada en el pasado como un material estructural en las casas, y por supuesto para puertas y ventanas. Hoy su uso en general ha sido reemplazado por hierro y hormigón armado.

Las paredes de las viejas casas tradicionales son gruesas, en algunos casos son casi un metro de espesor; la razón acertada, es que el espesor es útil para propósitos de aislamiento del clima y así también mayor fortaleza en la construcción. Las casas no están separadas una de la otra, todas ellas comparten una muralla con la casa contigua, formando una unidad mayor.

En algunas de las casas más grandes es posible tener dos patios o aun más, añadiendo continuidad y espaciosidad a la casa. Muchas veces en este caso, un patio sería usado como jardín y no puede ser visible desde la calle.

Plantas y flores son muy cultivadas en Córdoba. Los patios, calles y plazas están llenas de colorido y belleza. Los geranios, en una variedad de tipos y colores, son los más abundantes. Otras flores incluyen claveles, fusia y begonias. Rosas, jazmines y dama de noche son también muy populares. Otras plantas a menudo encontradas son albahaca, helechos, y otras variedades de plantas verdes. Entre los árboles más comunes son naranjos, limones y palmeras, son también encontrados en algunos patios, calles y parques.

En abril, las brotas del naranjo (el azahar) perfuman el aire con su agradable fragancia. En el verano y principios del otoño la esencia de las flores del jazmín es dulce e inolvidable, especialmente en calurosas noches de verano, cuando se suma un especial atractivo a las parejas del paseo nocturno, no obstante el escape de los autos y motocicletas echan a perder un apreciable ambiente.

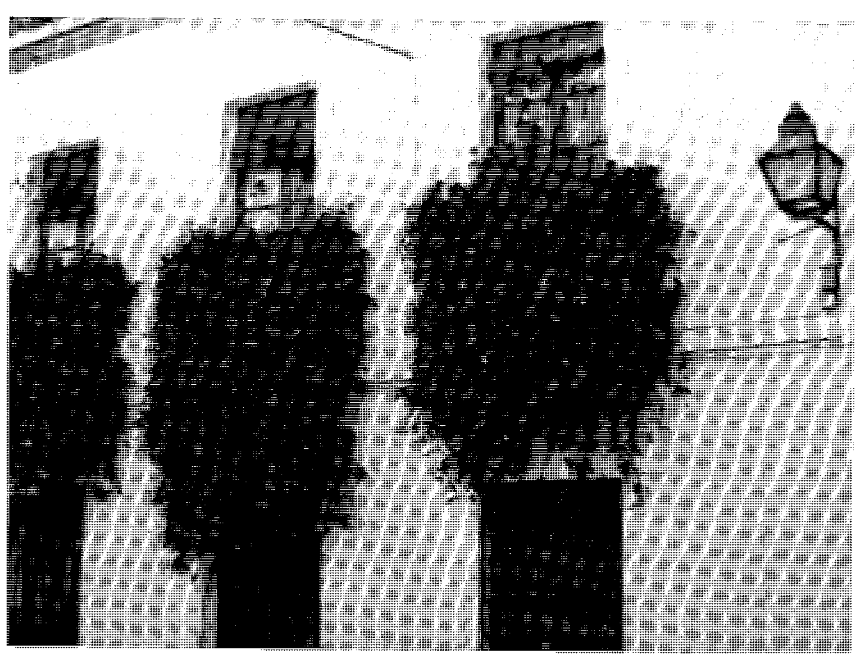
Las calles de la parte vieja de Córdoba son normalmente estrechas, y algunas son simplemente unas callejuelas. La mayoría de estas calles son designa-

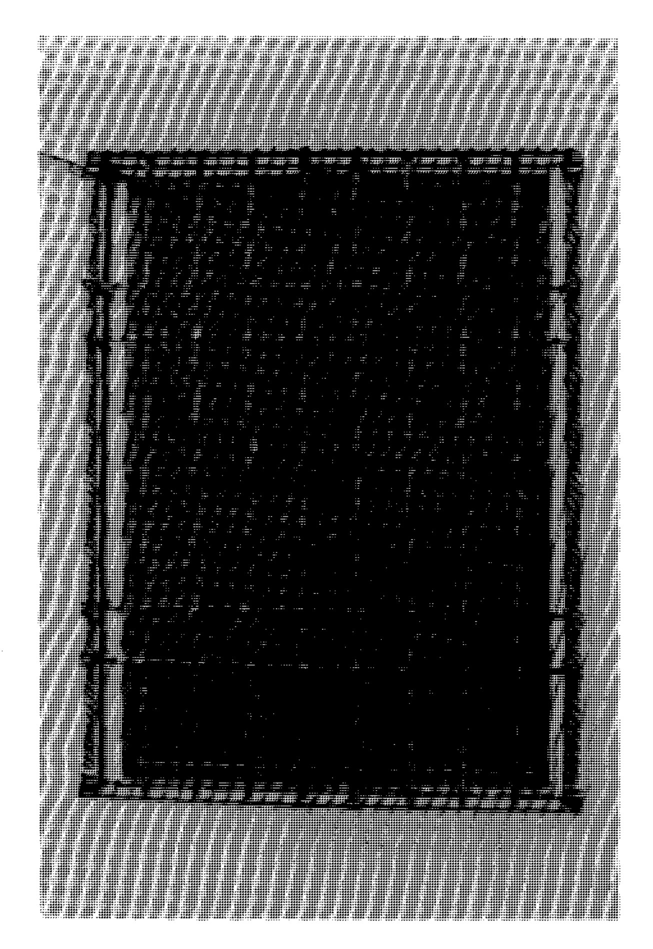


Los toldos son usados a veces para proteger contra el excesivo calor del verano, reduciendo drásticamente la intensidad del calor, transformando el patio en un lugar placenteramente fresco y pacífico.

El color tradicional en este tipo de arquitectura es el blanco. Casi todas las casas con patio en Córdoba están pintadas en blanco, tanto en su exterior como en su interior, pintadas una vez al año en la primavera. La pintura tradicional es cal disuelta en agua. Es usada además de su atractiva apariencia y economía, por dos razones principalmente, para reflejar el calor del sol en el verano y para desinfectar los muros de los edificios. Otros tipos de pinturas comerciales son también usadas hoy. Este tipo de blanco hace única la apariencia de estas casas en una armoniosa forma, constituyendo un fondo donde contraste los brillantes colores de las plantas y flores que son comunes en las casas de Córdoba.

Una ventaja de este estilo de construcción con patio es que es funcionalmente práctico y puede fácilmente ser convertido para varios tipos de usos, como un edificio de oficinas, o un colegio, taller, tienda, café, restaurante, hostal, ...etc. Muchas familias llevan a cabo sus negocios en parte de sus casas, otras casas son centros para organizaciones sociales y artísticas.

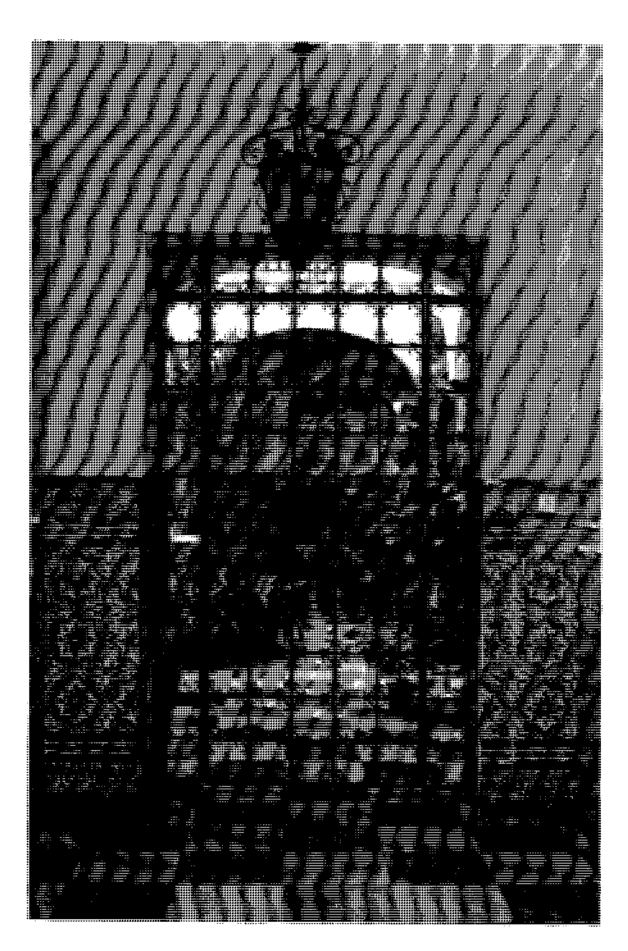




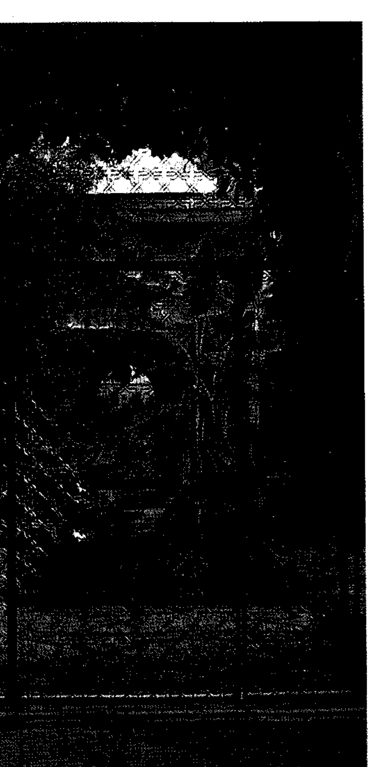


también de sólo uno. Tiene una gran puerta de madera y pocas ventanas a una calle estrecha. Algunas de estas grandes puertas contienen una pequeña puerta, siguiendo una vieja tradición árabe, y en las ventanas biombos de madera barnizadas son usados de acuerdo a la misma tradición. Rejas de hierro son también puestas en las ventanas y casi siempre están pintadas de negro. Es de costumbre poner flores en las cornisas de las ventanas y en los pequeños balcones en la parte exterior de la casa. La puerta principal guía inmediatamente a un pequeño espacio de entrada (portal), hecho atractivo por ser alicatado por cerámicas coloreadas que puede alcanzar un metro y medio. Una cancela de hierro forjado –grande y negra– que separa el portal del patio en el interior de la casa.

El patio en Córdoba está lleno de plantas y flores durante todas las estaciones, especialmente en la primavera. Es rodeado por una galería por lo menos en uno o dos lados. Las habitaciones abiertas directamente al patio, o al espacio protegido por la galería. Las habitaciones en el nivel superior son usadas generalmente como dormitorio. El tejado de la casa está usualmente dividido en dos partes, una es protegida por las tradicionales tejas de greda, y una pequeña parte se deja plana, la que es llamada azotea (originalmente es un diminutivo de la palabra con este significado en árabe), es útil para tender la ropa al sol, también, en algunas casas, las plantas y las flores son puestas ahí.







metros debajo de las cuales se situaban largos y bajos divanes, cuyos colchones estaban cubiertos de terciopelo o brocado. En invierno se usaban almohadones de lana que se reemplazaban en verano por otros más frescos de lienzo o cuero».[25]

El mismo autor describe como estas casas eran iluminadas y climatizadas en el pasado. «La casa se alumbraba con velas o lámparas de cobre; braseros de metal o de barro cocido, en los que ardía el cisco, caldeaban la casa. Solamente las mansiones de los ricos disponían de baños privados; el aire caliente de los hornos que las templaban se conducía por medio de tuberías a través de los muros del salón, como una especie de calefacción central».[26]

En España, la variación de las casas con patio se debe a factores climáticos, así en cada ciudad este estilo es ajustado a las condiciones locales.

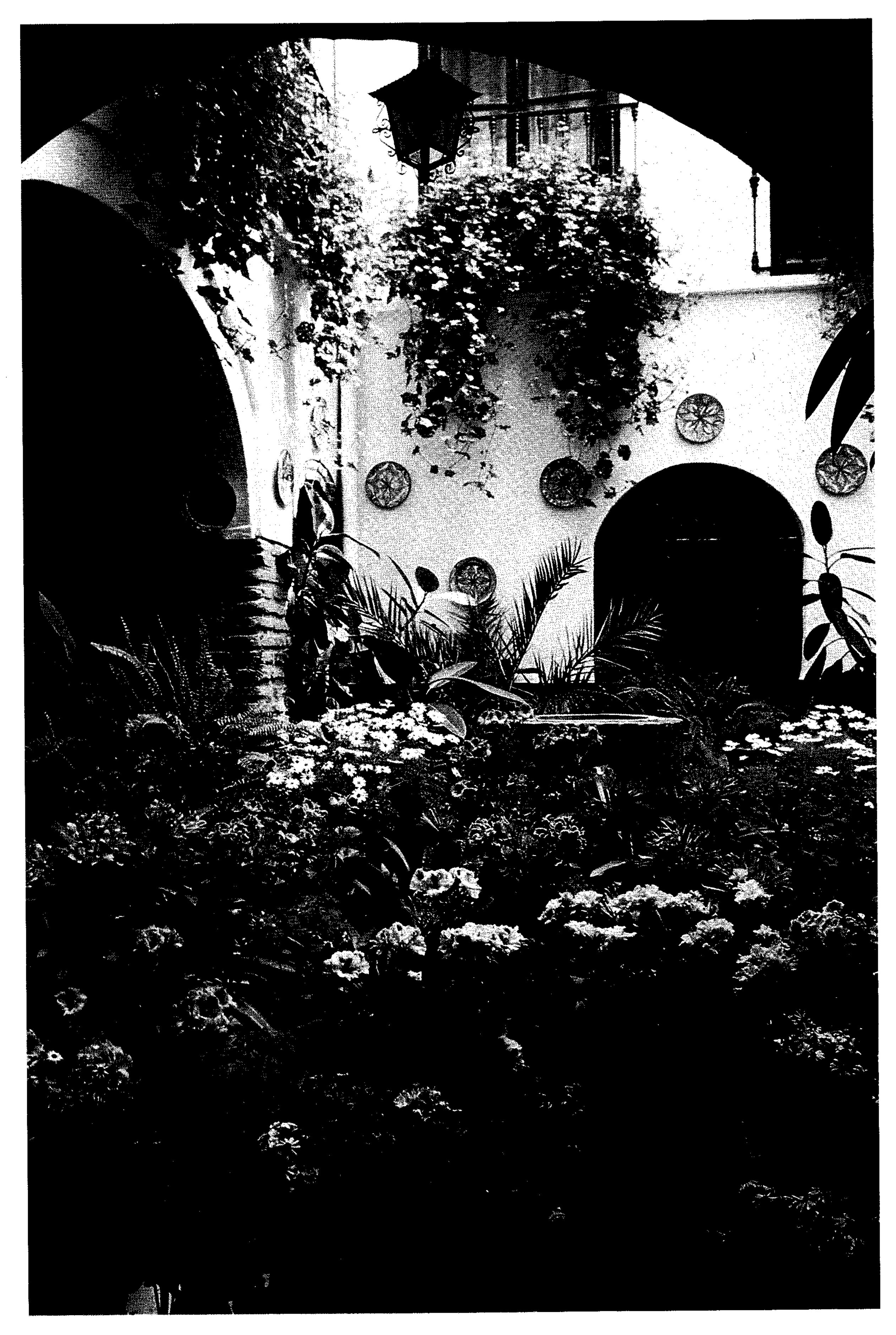
La típica casa con patio en Córdoba hoy es muy simple en su apariencia externa. Muchas veces es de dos pisos, y en algunos casos es de tres pisos o

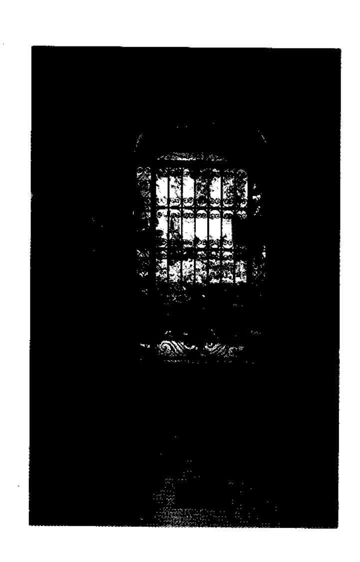


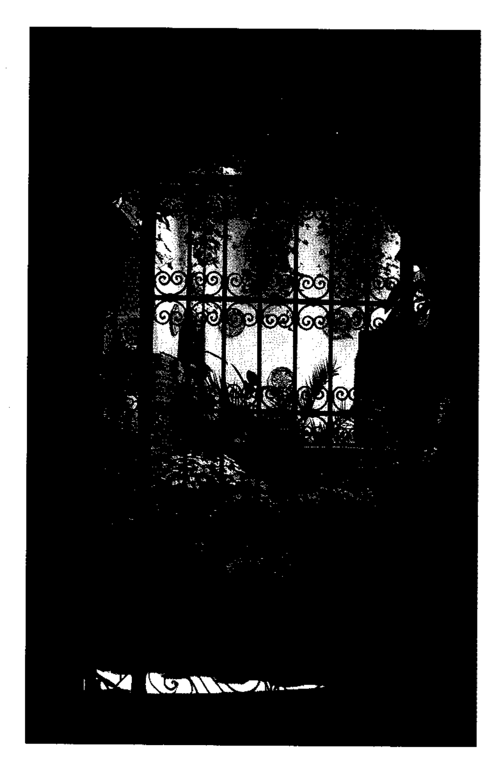
Otro escritor, admirador de este tipo de arquitectura tradicional presenta una descripción similar para mostrar algunas de las características en común, así como aspectos funcionales y prácticos en la casa con patio.

«La vivienda de Al-Andalus se conserva no sólo en su descripción contemporánea, sino en su descendiente directa, la casa que todavía se puede encontrar en ciertas ciudades de Marruecos, como Fez. Sus características eran un exterior despersonalizado; una gran puerta y en el interior un pasaje en zigzag por el que se llegaba a un pequeño patio, pavimentado de piedra, o en algunos casos de mármol, y sombreado por un toldo o una parra. Un par de habitaciones daban a este patio... Al fondo de cada una de esas habitaciones se abría un nicho a un nivel más alto, separado por una cortina, cuyo nombre árabe Kubba se ha convertido, en español, en alcoba.

El mobiliario era sencillo y podía ser trasladado fácilmente de una habitación a otra. Los suelos estaban cubiertos con las mismas ásperas esteras que todavía se usan en Egipto e Irak: sobre ellas se extendían alfombras de lana... Colgaduras multicolores de seda o lana pendían de las paredes desde una altura de casi dos

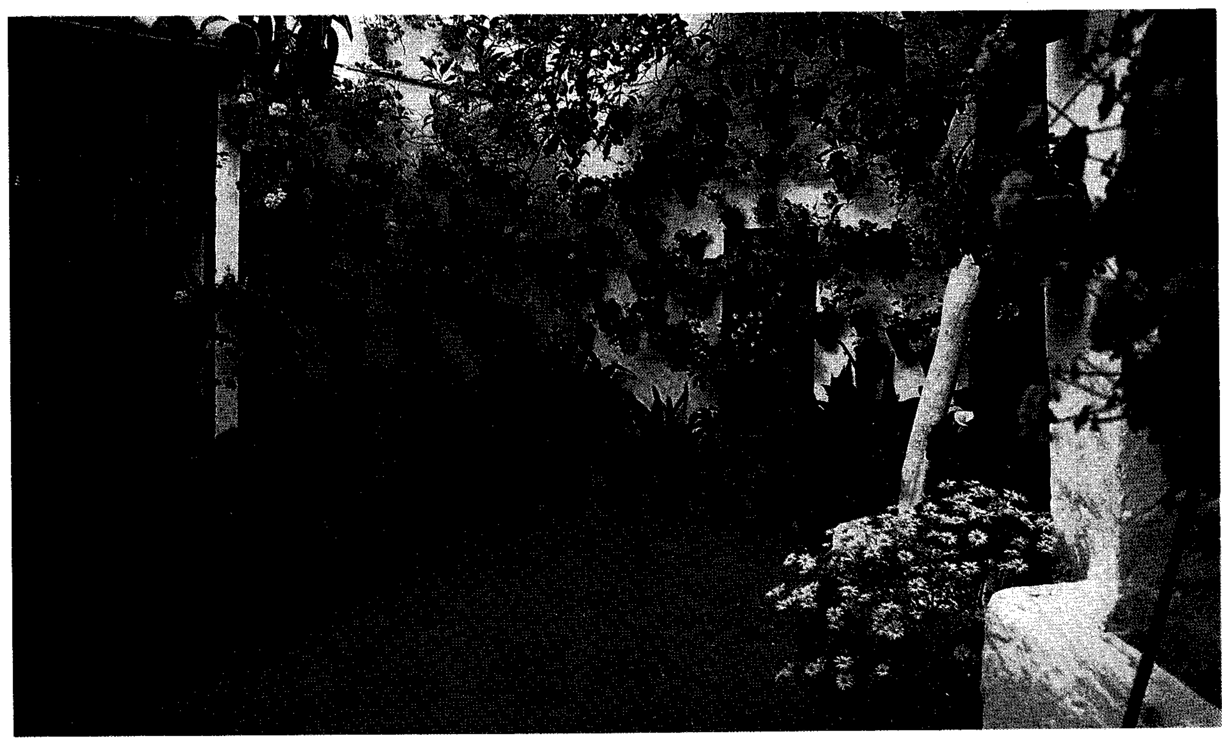


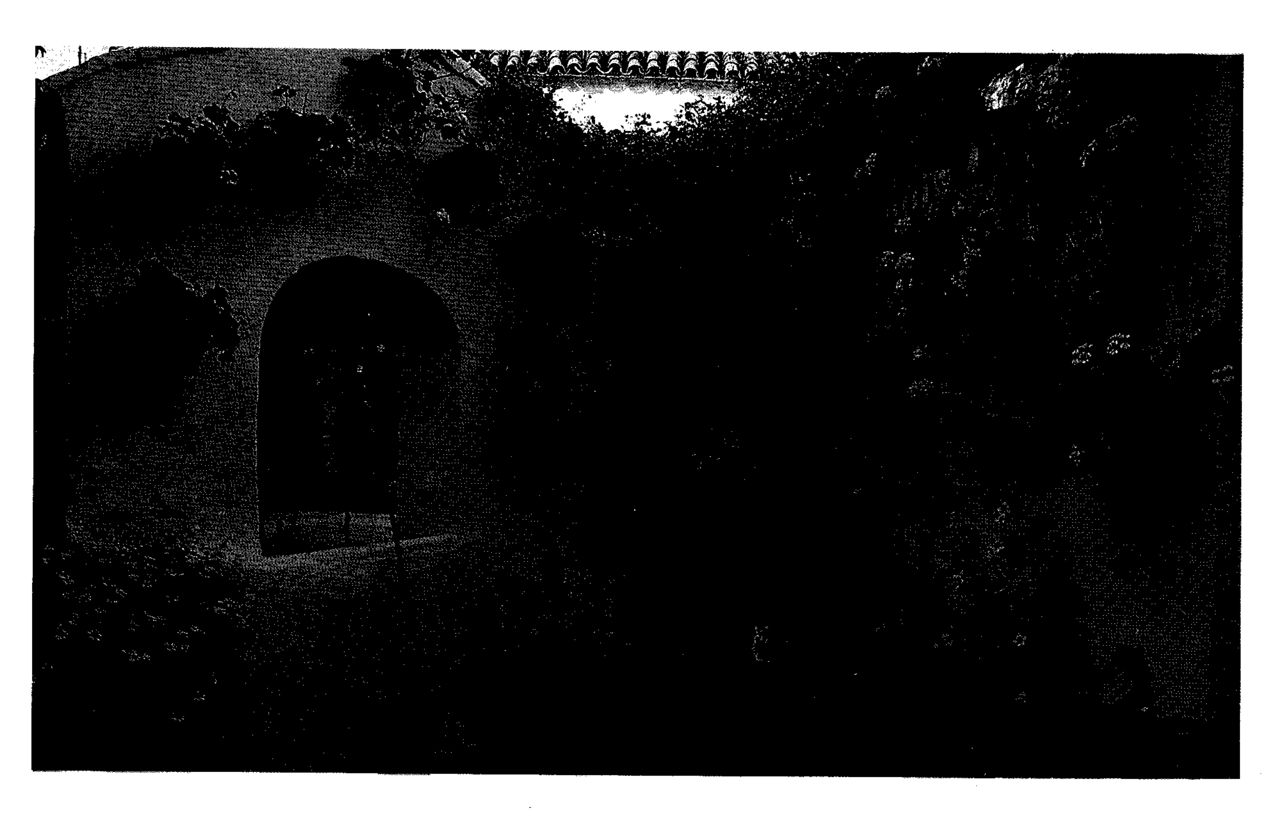


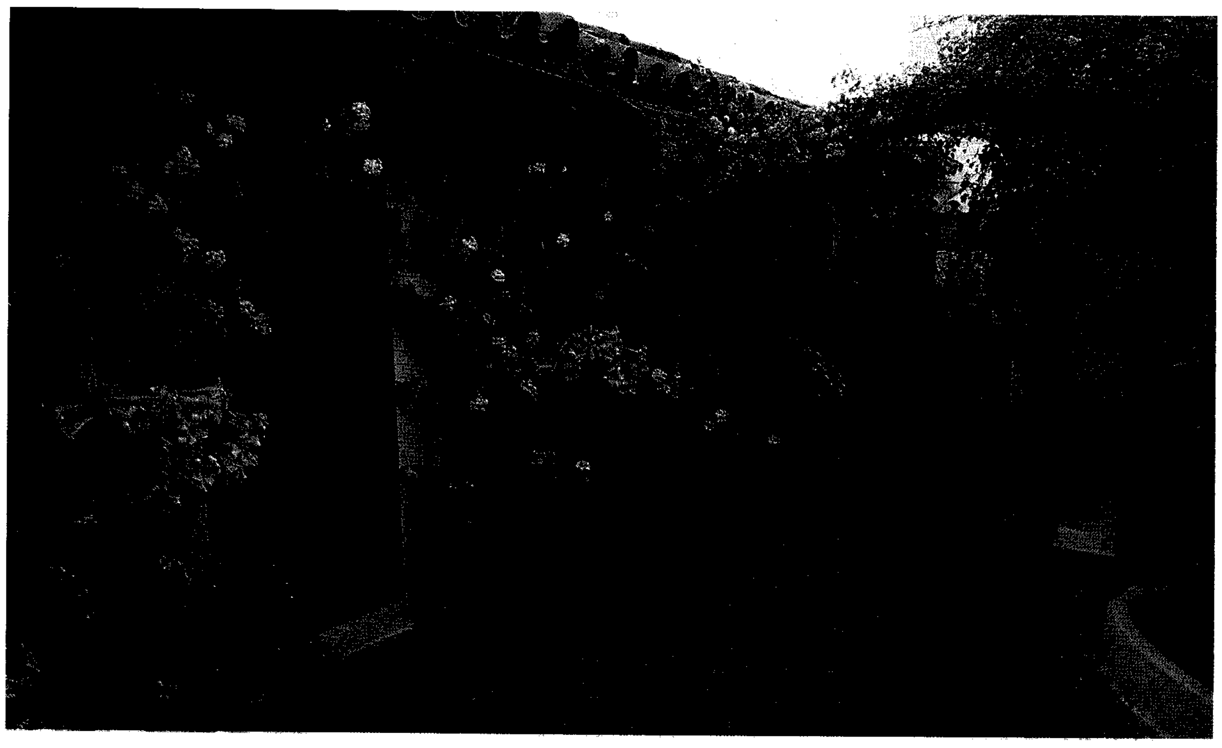




La habitación principal, a menudo de techo alto y de suelo pavimentado, es usualmente dividida en tres secciones en medio del cual hay una fuente octogonal hecha en mármol modelado.
El principal artículo de los muebles es un largo diván, con bordes plateados y dorados en tapiz de seda, el cual está alrededor de toda la habitación. El resto consiste en mesas bajas y banquillos incrustados, porcelanas chinas, adornos de plata, tazas de café con delicados platillos, quemadores de incienso, etc., ubicados en las alcobas construidas en anchas murallas, contra un fondo de mármol incrustado o baldosas de cerámica persa.
Este es el retiro favorito del musulmán, un lugar completamente refrescante, aire perfumado, de luz regulada por ventanas con cristales coloridos, y un silencio interrumpido solamente por el movimiento del agua entre las piedras de la fuente...
Vistas desde afuera, estas casas parecen más bien como gigantescos bloques de piedra blanca, con una terraza en la parte superior. La principal fuente de luz para las habitaciones de dentro es un patio rodeado por un pórtico que soporta un número de niveles de galerías...»?[24]





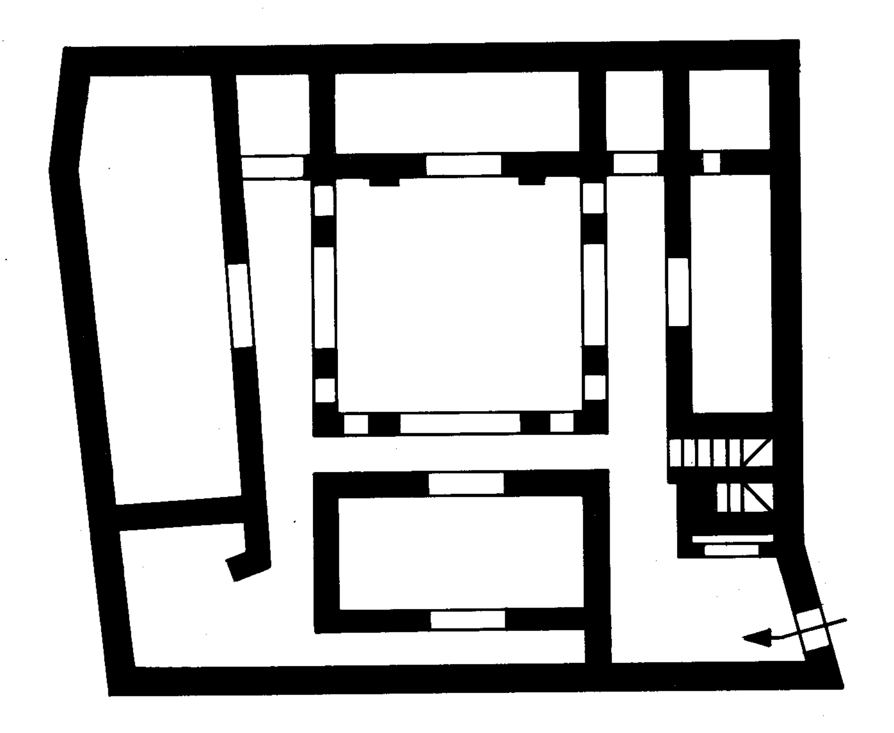


res, está relacionado con ***haram***, sagrado, lo cual denota el lugar de la familia que habita la casa árabe».[22]

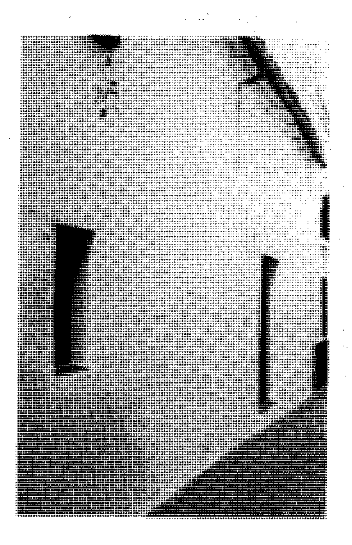
Esta cualidad innata que provee confort –no sólo físico, sino también mental y espiritual–, es fundamental dentro del hogar. Su valor va más allá de meros proyectos técnicos y responde a las necesidades humanas para una saludable vida hogareña. En cierta forma, el patio es un simple elemento de diseño; «sin embargo, para el árabe especialmente, el patio es más que sólo división arquitectónica para obtener privacidad y protección. Es como la cúpula, parte del microcosmos que va paralelamente con el orden del mismo universo». [23]

Varios escritores han obtenido sus propias descripciones de las típicas casas con patio, incluyendo su interior y sus instalaciones. Aunque hay muchas variaciones en este estilo, los básicos elementos del diseño están compartidos por todo. Lo siguiente es una descripción de las casas con patio en detalle. Las principales características son:

> «La entrada principal es estrecha, un abovedado corredor conduce a un gran patio interior. Aquí, en lo que es realmente un jardín pavimentado con mármol, hay una pileta rodeada por sauces llorones, naranjos, limones, granadas y plantas aromáticas, los que llenan la casa con el aroma de sus flores y sus frutas. La parte vivienda, con sus hermosamente decorados interiores, está alrededor de este patio interior.



patio. «La casa es una masa cuadrada vacía, ...con todas sus habitaciones mirando hacia el patio desde donde sólo el cielo puede ser visto. Este patio se convierte en el trozo privado del cielo exclusivo del propietario. El espacio interior siendo rodeado por los cuartos de la casa estimula el sentimiento de calma y seguridad, de tal manera que ninguna otra característica arquitectónica puede producir. En todo caso el cielo es traído hacia un contacto íntimo con la casa, de manera que la espiritualidad de la casa es constantemente llenada por el cielo».[19] Este aspecto espiritual es la fuente de amenidad en estas casas.



En estas tradicionales viviendas el patio se convierte en una fuente de vida de la cual emana un espíritu sentido por el individuo, directa o indirectamente. Esta cualidad es fundamental para distinguir este tipo de casa. Hassan Fathy explica este aspecto que es inherente de este espacio. «En el espacio encerrado, sea una pieza o sea un patio, hay cierta cualidad que puede ser distintamente percibida, y que lleva un significado local... Este espacio percibido es en hecho un componente fundamental de arquitectura, y si un espacio no tiene el verdadero sentimiento, no habrá decoración subsecuente después que infundan en él dicho espíritu.[20] Por eso el ser humano tiene la capacidad de percibir la naturaleza del espacio, así reacciona en gozarlo o rechazarlo. En general esta naturaleza de la casa árabe consuela el alma porque la pureza que procede del patio «no es algo imaginario, ni simplemente un simbolismo, sino es una realidad sentida y palpada...».[21]



Hassan Fathy continúa su explicación acerca de la casa árabe, y el significado de sus atributos internos. «La vista interior de la casa árabe, se abre a la calma del cielo, hecho hermoso por el delicado elemento del agua, pacífica y contenida en sí misma. Su propósito es antítesis del rudo mundo del trabajo... El nombre árabe *sakan,* para denominar una casa, está relacionado con la palabra *sakina,* pacífica y santa, mientras la palabra *harim,* que significa muje-



LOS PATIOS

Afortunadamente las casas con patio aún existen en Córdoba, no obstante la mayor parte de la ciudad ha experimentado drásticos cambios sin consideración alguna hacia el carácter histórico especial de Córdoba. Las tradicionales casas en Córdoba son encontradas principalmente en el barrio de la Mezquita. Por otra parte, este estilo está desapareciendo en otras ciudades, como Sevilla, Granada, y Málaga. Si un día, Andalucía pierde completamente estas casas, su herencia será definitivamente disminuida.

Una Herencia viviente de más de mil años, derivada de un gran y único pasado, no debería sufrir el mínimo daño o descuido, aun en estos tiempos modernos de rápido cambio.

Los patios de Córdoba son muy especiales. Son atractivos y están llenos de encanto. Para Córdoba y su gente, son un tesoro. ¡Pero! ¿Qué es lo que los hace tan especiales? ¿cuál es el secreto detrás de su belleza, y la fuente de su encanto? ¿por qué visitantes de diversas culturas son atraídos hacia estos patios, humildes y simples como son? No es sólo porque su estilo es diferente del tipo de construcción al cual los visitantes están acostumbrados en sus propios países. Las respuestas son muchas, podría ser comprendido al aprender acerca los aspectos relacionados con este estilo de arquitectura.

El patio es un espacio de paz y reposo, lleno de brillo y vivacidad. El alma humana se alivia aquí, y los sentidos están en armonía con la tranquilidad que prevalece en este humilde espacio. El estilo de estas casas genera un sentido de equilibrio y calma, raramente encontrado en el mismo grado en otros estilos. Como un sentido de equilibrio es esencial en cualquier comunidad y en todos los hogares; y una vez que es encontrado es inmediatamente sentido. Esto es uno de los secretos detrás del natural atractivo de los patios de Córdoba.

La casa pintada de blanco, se ve limpia, cuidada y está en armonía con las demás casas del barrio. El patio, está rodeado por las habitaciones de la casa, lleno con verdes plantas, flores de todos los colores, y luz natural, le da vida y alegría. Este conjunto da el sentimiento de calor y armonía familiar arraigada en el interior.

La evolución de las casas con patio como el tradicional estilo de la arquitectura en el sur de España está directamente relacionado en su origen con el estilo de las casas comunes en los países árabes y tierras musulmanas. Este estilo es ideal, no sólo ambientalmente para las condiciones climáticas, sino que también es adecuado socialmente, económicamente y aún sicológicamente en tales países.

Para explicar las cualidades y características de los patios de Córdoba, ayuda aprender lo más posible acerca de los varios aspectos envueltos en la típica casa árabe, especialmente esos aspectos que son difíciles de captar al principio, desde que éste, está donde el estilo se originó y desarrolló. Hassan Fathy, uno de los mejores arquitectos árabes actualmente, ha estudiado esta materia en profundidad, y ofrece la siguiente explicación acerca de la casa con



El alma de las casas
*«La cordobesa es la casa del sol, modificada por la latitud, un poco menos abierta; pero es la casa típicamente oriental y el patio, sobre todo el patio, cerrado y empedrado de guijas, cuyo tipo se conserva aquí, es lo que más acusa esta procedencia. Los patios viven y vibran, han espiritualizado el alma árabe».**

Antonio Jaén Morente

* Antonio Jaén Morente, «Historia de Córdoba», Librería Luque.

muy difícil caminar o aún respirar, a causa del tráfico y los escapes de humo; mientras en tiempos atrás esta área era famosa, por sus jardines, palacios, y parques públicos. Hay muchos problemas que necesitan ser solucionados con comprensión y perspicacia, para que Córdoba recapture las mentes y los corazones de los ciudadanos y visitantes.

Los siguientes pasajes fueron escritos desde casi ochenta años por una autora extranjera que visitó Córdoba. Ella registró sus impresiones y sentimientos de esta ciudad en su personal estilo poético, al principio de este siglo:

«Córdoba es una ciudad que duerme; descansa en un silencioso y bello sueño. Hay una atmósfera seria, negativa, casi triste, acerca de ella, esta impresión viene, no es buscada. Tu lo recoges como tu vagas en sus estrechas calles, o parar para mirar las blancas casas, generalmente bajas, ...Sin embargo, aquí y allá un palacio vacante habla de una gran tradición interrumpida; mientras tal vez, más fuerte que nada, el sentimiento viene cuando, después de un paseo por el moderno Paseo de la Victoria, llegándose a la Puerta de Almodóvar. Aquí las ruinas de las murallas antiguas aparecen... consciente de la separación del presente con el pasado. Y el visitante ve la soledad y la tristeza de las piedras –que quedaron de grandes obras arquitectónicas– y extiende su mirada al paisaje al otro lado, con una soberbia vista de la sierra azul hacia el norte y el gran río fluyendo en el sur, así, se comprende la razón de la triste nota que nunca es callada en Córdoba».

«La tibia luz solar del sur emerge como una inundación de fuego sobre la escena, purificando y afilando los perfiles de las casas, encendiendo luces de respuesta, aquí y allá, en las ventanas y en los tejados de las casas, ardiendo alrededor de las torres antiguas, iluminando las blancas paredes, deslumbrando las claridades, y transformando la atmósfera en una flama enriquecida que llama a todas partes a enriquecerse el contraste de colores. Cuando el cielo es puro zafiro, y el paisaje tiembla con el calor, entonces verás Córdoba en una escena que se grabará para siempre en la imaginación...».

«Así cuando paras a mirarlo todo, el hechizo del pasado te cae encima. Tu ves el delicioso juego de los colores puros... De repente, memorias dormidas, tan sugestivas bajo la tranquila apariencia de la ciudad, parecen que han despertado las calles hacia una agitada alegría. Y pasa por tu imaginación una visión de Córdoba del siglo X, cuando ella ganó el nombre de 'la novia de al-Andalus'. Córdoba del pasado es algo para conjurar. Por un momento toda la historia de la ciudad, todo su esplendor, un majestuoso registro aparece en tu memoria. Siempre en Andalucía, más de la mitad del encanto, descansa en lo que imaginas más que, en lo que ves.

Y lentamente, así como una visión viene, una ciudad aparece–una gran ciudad de sueño se extiende entre la sierra y el río, con el susurro del agua en un lado y el sosiego de las montañas en el otro; una ciudad de riqueza, de belleza, de gloria, de saber, enviando la influencia de su cultura como lluvia sobre la tierra».[18]

con todo refinamiento y lujo, disfrutando de una existencia urbana con suntuosos palacios, mansiones, jardines, casas de campo y baños públicos. En el siglo X, Córdoba era, quizá, la ciudad más cosmopolita y sofisticada del mundo musulmán y de Europa, y servía de modelo de construcción y de moda».[13] El continúa para describir las casas, y otros edificios que fueron comunes entonces añadiendo que «corrientemente, las casas de los acaudalados tenían dos pisos, jardines, y agua corriente, y también estaba la moda de incluir una amplia habitación de biblioteca. Las gentes de dinero también tenían sus casas de recreo *(munyah)* en los alrededores o en el campo».[14]

Además de describir las casas en aquellos tiempos, él añadió sobre el aspecto personal de la vida diaria, diciendo que «a esto puede añadirse un gran refinamiento en el cuidado personal. Había una gran variedad de ropas y joyas para hombres y mujeres, y el aseo era practicado diariamente en los baños privados por los ricos, o en los públicos que eran uno de los más importantes rasgos de las ciudades».[15] Las actividades higiénicas que son parte de las enseñanzas Islámicas, muestran una de las diferencias, entre las formas de vida en al-Andalus y el resto de Europa, porque entonces, la gente «se bañaban con regularidad en una época en que esto era desconocido, o mal visto, en el resto de Europa».[16]

El siglo XIII marcado por la caída de Córdoba de las manos musulmanas. Muchos factores históricos contribuyeron a esta trágica caída, y condujo a un período de triste decline el cual Córdoba nunca alcanzó de nuevo. ¡Irónicamente, los que clamaron que la «libraron», le dieron el golpe de destrucción final!

Sin embargo, como cita Titus Burckhardt, todavía existen unas áreas donde, «ciertas calles de la parte antigua recuerdan por su trazado los barrios comerciales de la Córdoba califal, pero ya no encontrarían cabida allí las ochenta mil tiendas y talleres que se contaban en ella. Han desaparecido las grandes fondas... Han caído en ruinas los numerosos baños públicos, las escuelas, donde recibían enseñanza hasta los hijos de los pobres, y las grandes bibliotecas... De los muchos centenares de mezquitas que antaño adornaban Córdoba, sólo subsiste una: la más antigua, la mayor; pero incluso ésta se encuentra en estado sensiblemente modificado, como consecuencia de su transformación en una iglesia. Hace falta algún esfuerzo imaginativo para representársela en su aspecto primitivo».[17]

Córdoba hoy es una ciudad de aproximadamente 300.000 habitantes. Modernos edificios se extienden sobre la mayoría de sus barrios, con algunas restricciones en las viejas partes. De esta manera, excepto por sus viejos y típicos barrios, Córdoba luce como cualquier otra ciudad o pueblo, con modernas calles llenas de vehículos y sus humos, alineadas por edificios en ambos lados. El contraste entre lo tradicional y lo moderno es dispar; el primero es relajante y pacífico, lo otro es caótico y tenso.

La zona natural de que Córdoba disfruta podría proveerla de los requisitos básicos para la creación de una ciudad bonita. Situada a la orilla del río y al pie de la sierra, con un adecuado suministro de agua y un clima templado, Córdoba podría mantener una especial belleza y un encanto similar al que experimentó una vez mil años atrás. Hoy, por ejemplo, una carretera con denso tráfico pasa a lo largo de la parte de Córdoba cerca de la orilla del río, donde es

entre la ciudad Islámica y la anatomía humana, en la cual, «la mezquita en el centro es el corazón de todo el cuerpo urbano, el mercado con sus vías de acceso corresponde a los órganos de asimilación, mientras los patios interiores y jardines de los barrios residenciales desempeñaban el papel de los pulmones». [12] Es desafortunado que los estilos modernos hayan traído drásticos cambios a estas ciudades, donde ahora, el caos y la contaminación (aire, agua, y ruido) han destruido el equilibrio que existió en el pasado.

Estas ciudades, creciendo naturalmente, fueron acomodadas para una placentera vida urbana. Sería interesante ver cómo la gente de al-Andalus vivía en aquellos tiempos en todos los niveles de la sociedad. La clase alta daba el ejemplo para ser seguido por las otras clases. Anwar Chejne, un especialista en la historia de al-Andalus escribió que «la nobleza andaluza y los ricos vivían



la Península Ibérica. Promovió el aprendizaje y estimuló la cultura. En resumen, su llegada a Córdoba fue crucial para el curso histórico de al-Andalus y su gente.

Al principio, los primeros Bani Omeya habían residido en un palacio cordobés en la propia ciudad, y construyeron una residencia de verano llamada *«al-Rusafa»* en las afueras de Córdoba, «según modelo de otro edificio construido en las afueras de Damasco por el abuelo de Abd al-Rahmán I. Para adaptarlo a su nuevo estilo, y a causa del crecimiento de Córdoba, Abd al-Rahmán III decidió, sin embargo construir un palacio-ciudad a más de seis kilómetros al oeste de la capital, en las últimas estribaciones de Sierra Morena...». [7]

Esta ciudad-palacio fue llamada *Al-Medina Al-Zahra* (*Al-Medina:* la ciudad, *Al-Zahra:* la floreciente), ilustra el gran crecimiento y desarrollo de Córdoba durante el siglo X. Incluyó palacios y jardines de la familia gobernante y otras casas, oficinas y edificios gubernamentales, y cuarteles militares, además de todos los servicios requeridos y actividades comerciales, lo que también incluía granjas y huertas agrícolas. *Al-Medina Al-Zahra* fue construida tres siglos antes de la construcción de *la Alhambra* en Granada, y fue cuatro veces más grande. Hoy sólo hay ruinas.

En términos culturales, «Córdoba fomentó una sociedad igualada muy pocas veces. Los estratos que constituían aquella sociedad gozaban de un tono de vida como jamás había existido antes en la Europa Occidental y como no se ha vuelto a vivir desde entonces».[8] Estas frases, son el sumario de la única grandeza de al-Andalus.

Fuentes citan que Córdoba tuvo «unas 1.600 mezquitas, 900 baños públicos, 213.077 hogares para la población en general, 60.300 mansiones de gente importante, ...y 80.455 tiendas».[9] Algunos argumentan que estas cifras son algo exageradas. En todo caso, aunque son exageradas, «nos dan una idea de lo desarrollado y del vigor de la vida urbana bajo el dominio musulmán».[10]

Para que lo podamos comprender como fue Córdoba, y para imaginar como lucía en aquellos tiempos, es útil conocer algo acerca del diseño de una típica ciudad Islámica. Titus Burckhardt, uno de los especialistas europeos en arte y arquitectura Islámicas nos da una descripción:

> «Su núcleo central estaba formado generalmente por el mercado que consistía en una densa red de callejuelas estrechas, en las cuales una tienda lindaba con otra y un taller con otro, ya que aparte de las distintas ramas del comercio se alojaban allí también los oficios menores, cada gremio en su callejuela o barrio. Por lo general, el mercado estaba situado alrededor o cerca de la mezquita mayor. Unas cuantas calles más importantes conducían de las puertas de la ciudad al mercado. Los barrios residenciales se extendían desde el mercado hasta las murallas. Estaban construidos sin un plano rígido, conforme se iban formando y uniendo bloques de viviendas según la voluntad de las familias... Las casas recibían luz y aire por sus patios interiores, que a veces se ampliaban formando jardines rodeados de muros».[11]

Las ciudades Islámicas crecieron de acuerdo a las necesidades de la gente. Este crecimiento es libre y natural; y éste es el secreto de su éxito y de la afinidad de la gente hacia ella, en contraste con el otro sistema de calles axiales orientadas hacia los puntos cardinales, el cual impone un rígido sistema de orden y de conformidad militar. Una analogía fue hecha por Titus Burckhardt

CORDOBA

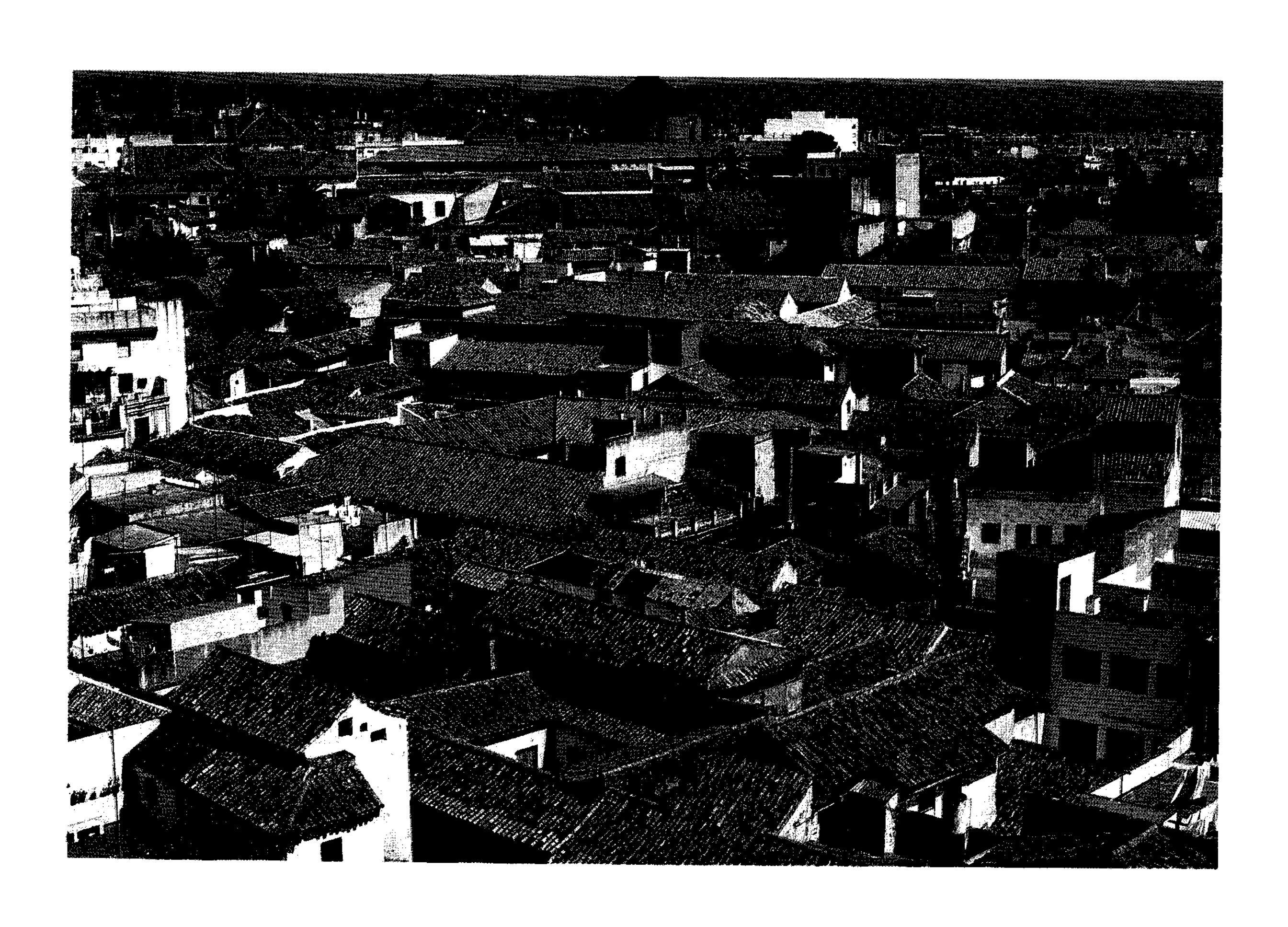
Córdoba es una ciudad muy especial, es distinta de cualquier otra ciudad. Sin embargo, su papel en la historia ha sido frecuentemente subestimado. Muy pocos historiadores occidentales dieron la atención que merece como el mayor puente de cultura y civilización entre Oriente y Occidente durante la Edad Media. Este papel histórico que fue de gran importancia en el desarrollo cultural y científico del mundo moderno, fue incorrectamente atribuido a otras regiones de Europa. Ha llegado a ser abiertamente conocido que la «Era del Renacimiento» en Italia la cual fue crucial para la civilización en el Occidente. En realidad, fueron al-Andalus y su capital, Córdoba, quienes jugaron el mayor papel en transmitir conocimiento y ciencia hacia Europa.

Los importantes logros en ciencia, medicina, literatura y otros campos fueron conocidos en al-Andalus. Toledo llegó a ser el mayor centro de traducción de trabajos del árabe, desde 1130 después de su caída de las manos musulmanas. Fue por este proceso, el que duró unos cuantos siglos, que el material fue transmitido a otros países de Europa.

Ha sido dicho que el Emir Al-Hakam II, quien gobernó al-Andalus desde 961 hasta 976 d. J., tuvo en su biblioteca en Córdoba 400.000 volúmenes. El envió emisarios a Damasco, Bagdad, Alejandría, y otras ciudades a buscar libros para traerlos a Córdoba. Los andaluces mismos llegaron a ser altamente cultos, y al-Andalus produjo grandes pensadores quienes generosamente contribuyeron a la civilización humana.

Este interés del saber entre los gobernantes y la población llevó el bienestar del país. La vida mejoró y Córdoba creció en población y tamaño. Así, «en los tiempos de mayor florecimiento de Córdoba, en el siglo X la ciudad tenía más de un millón de habitantes, sin contar los muchos pueblos y aldeas que se habían establecido alrededor en la fecunda vega del Guadalquivir».[6]

A este punto sólo es justo mencionar un hombre quien dedicó su vida a Córdoba y al-Andalus. La historia y destino de al-Andalus (y la de Córdoba) puede haber sido completamente diferente si no fuera este destacado líder, a quien le es raramente atribuido el mérito que se merece. A él Córdoba debe su grandeza y fama –es el Emir Abd al-Rahmán I–. El fue descendiente de la familia Omeya, originalmente de Macca, pero que gobernó desde Damasco. El escapó a al-Andalus cuando era joven, en medio del siglo VIII, después de la caída del poder de su familia en Siria. Con la ayuda de algunos amigos alcanzó la toma del poder en el al-Andalus, el cual estaba inestable entonces. Trabajó duro para establecer un estado independiente y fuerte, que sus sucesores lo mantuvieron varios siglos. El tuvo en la mente la transformación de Córdoba en otra Damasco como una gran capital cultural e influyente. Durante su gobierno nuevos edificios fueron construidos, usando el estilo arquitectónico con el que estaba familiarizado en el Oriente Medio. Bajo su dirección muchos desarrollos tomaron lugar, entre ellos estuvo la construcción de la primera parte de la gran mezquita de Córdoba. También, muchas especies de plantas, flores, y árboles traídos desde el Este y fueron introducidos en



También es importante señalar que los musulmanes que vinieron a al-Andalus fueron sólo unos pocos miles, y fue la población nativa la que escogió el Islam como una religión desarrollada numérica, según el tiempo progresó. De acuerdo con algunas estimaciones, la población de al-Andalus, en su plenitud, estuvo en un rango de 18 millones. Por lo tanto, es posible decir que no obstante la civilización en al-Andalus fue inspirada e influenciada por los árabes y por el Islam, fueron los andaluces, ellos mismos, como un todo, quienes la construyeron y contribuyeron a su desarrollo.

Muchos escritores e historiadores fueron impresionados por la belleza de al-Andalus, y grabaron su historia en detalles. La literatura árabe incluyó muchos trabajos en todos los aspectos de la vida y cultura. Varios «autores comenzaron a enumerarlos junto con sus maravillas, describiéndolos con entusiasmo. Las maravillas comprendían su topografía, montañas, ríos, valles, recursos, frutas, verduras, arroyos y arboledas, sus gentes y su carácter, cualidades, religión, costumbres, y sobre todo sus literatos, sus ciudades y palacios, jardines, puentes, calles, baños, mezquitas, dominios y demás».[3]

Esta nueva vida tuvo una rica herencia de la cual aprendió, la que canalizó el único desarrollo que tomó lugar en al-Andalus. Fue una herencia de generaciones de experiencia la cual dio salida a la cultura Islámica del Este. Al-Andalus «continuó dependiendo del Este en las esferas religiosa y cultural, ya que las instituciones musulmanas y la vida intelectual de al-Andalus seguían los modelos de Oriente. Estas influencias son patentes en la organización política, trato a las minorías, política agraria y económica, arte y arquitectura, costumbres, y aún más significativo, en las diversas manifestaciones intelectuales de la lengua árabe, que a menudo transcendieron de las fronteras étnicas y religiosas, a pesar de estar profundamente impregnadas del pensamiento islámico».[4]

al-Andalus y sus ciudades ganaron gran fama y reputación, especialmente en el siglo X. Cada ciudad, como Córdoba, Sevilla, Toledo o Granada, fueron bellas a su propia manera; sin embargo como ciudades de al-Andalus compartieron un gran pacto en común. Las casas en estas ciudades y pueblos reflejaron la apreciación de la simplicidad y formas tradicionales de la gente en su ambiente urbano. «Los andaluces eran muy refinados a la par que grandes amantes de la naturaleza y la belleza, cualidades que se hacen evidentes en sus artes y su arquitectura».[5]

AL-ANDALUS

Al-Andalus es el nombre árabe de todo territorio musulmán en la Península Ibérica (España y Portugal) desde 711 d. J. hasta la caída de Granada en 1492. En su plenitud, al-Andalus incluyó toda la Península Ibérica, además de las Islas Baleares, con excepción de la región montañosa del extremo norte de la península.

Durante muchos siglos antes del «descubrimiento» de las Américas, la Península Ibérica fue sin embargo, como el extremo oeste en relación con las otras tierras del mundo mediterráneo. Fue la «frontera» del «Viejo Mundo». Es cierto decir que fue el «punto de fusión» de mucha gente de diversos orígenes.

Los Ibéricos fueron un grupo que vino desde el Oriente a través de Africa del norte y se instaló en el «Oeste». Los «fenicios» fueron otro grupo que viajó en las costas del Mediterráneo desde su costa Este alrededor de tres mil años atrás. Como comerciantes se establecieron en muchos puertos costeros y otros pueblos; lo mismo hicieron sus descendientes –los cartagineses–. «Mucho antes de que llegasen los árabes, la Península Ibérica había estado sometida a influencias procedentes del Mediterráneo oriental. Desde, aproximadamente, el año 1100 a. de C. los fenicios habían comerciado con España. Este notable pueblo... procedente de lo que hoy día es el Líbano fundó Gades (la moderna Cádiz), reputada como la más antigua ciudad de Europa que ha sabido conservar la continuidad de su vida y de su nombre».[1] Cádiz fue sólo uno de muchos puertos y ciudades que los fenicios y cartagineses establecieron en toda la costa Mediterránea. Cádiz, por ejemplo fue llamada así, por el nombre de un valle sagrado en el Líbano llamado *Qadish*.

Este proceso de cambiarse y establecerse nunca llegó a un fin. Así, como la vida pasó y continuó, este proceso también continuó. Otra gente vino a la Península desde el norte en diferentes períodos de la historia, entre ellos los Celtas, y un número de tribus germánicas. Los Griegos y Romanos también entraron en algunas partes de España, principalmente desde su costa Este.

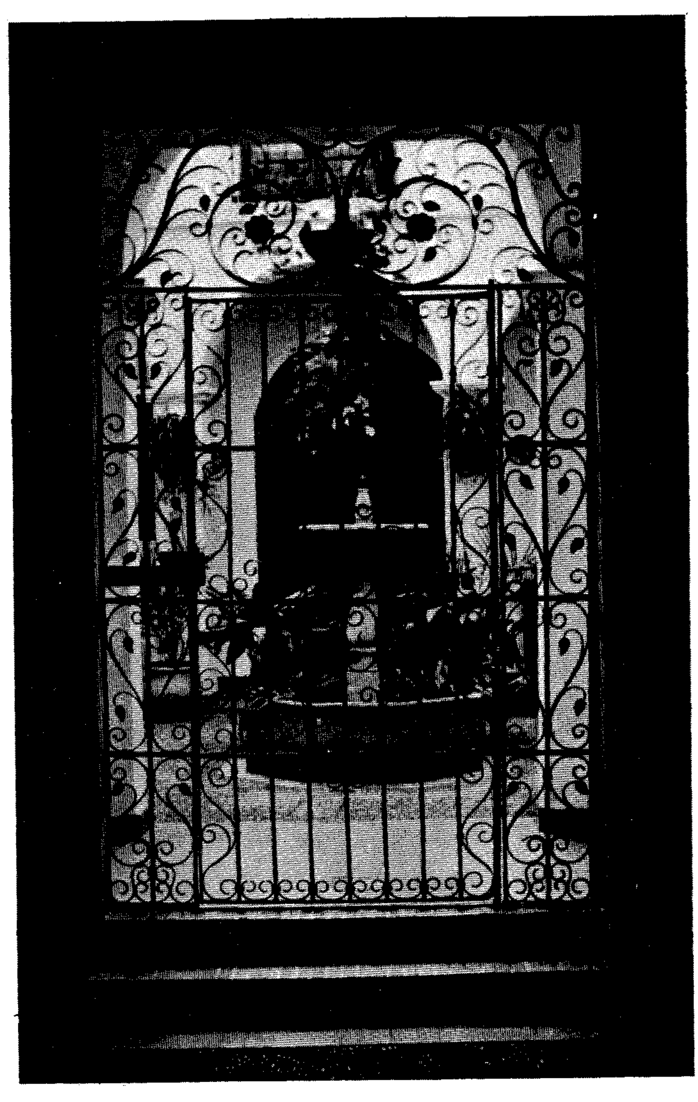
En 711 d. J. las fuerzas musulmanas derrotaron al gobierno Visigodo (tribus germánicas del Oeste), y comenzaron una nueva era en la Península Ibérica. La cual más tarde transformó el área en una de las más grandes del mundo, y la más exquisita civilización floreció en lo que llegó a ser conocido como al-Andalus en los tiempos Islámicos. Este evento fue crucial en el desarrollo de la historia de Europa Occidental. Al-Andalus «estaba preparada para convertirse en el puente más importante entre Occidente y Oriente; aunque estado separado, no era exclusivista a la manera de las naciones modernas».[2]

Todos estos hechos históricos muestran que mucho antes de la llegada de los árabes musulmanes a la península en 711 d. J., la población nativa era por lo menos parcialmente de origen árabe, especialmente en las regiones Sur y Este.

NOTAS: Ver en la parte de texto en inglés.

construidas por musulmanes, y otras más viejas crecieron y florecieron. Córdoba, y otras ciudades en al-Andalus fueron entre muchas las que fueron transformadas para llegar a ser hermosos e importantes centros culturales Islámicos.

El estilo de las casas con patio fue utilizado por los pueblos árabes desde varias generaciones atrás. Desde antiguos tiempos, la gente árabe ha construido sus casas de acuerdo a este estilo usando adobe, ladrillos y piedras. Ha llegado a ser su estilo tradicional en muchas regiones por su conformidad climática, además a su belleza y práctica adaptabilidad. Este estilo alcanzó popularidad en muchos países, desde España hasta la India, con la expansión de la cultura Islámica.



EL ANTIGUO ORIENTE

Habido algunos descubrimientos arqueológicos en Gerico *(Ariha, Palestina)* de casas y muros de piedra que datan de 10.000 años atrás. Es una de las más antiguas comunidades urbanas descubierta hasta esta fecha. Los restos encontrados muestran que un grado de civilización tuvo lugar en esa parte del mundo tan tempranamente en la historia. Fue miles de años antes de la construcción de las pirámides de Egipto; lo cual prueba que la historia de la civilización en el Oriente Medio es más antigua que lo que sabemos hoy; esto sólo es una fracción de lo que está enterrado bajo la cara de este viejo suelo.

Las raíces de la gente árabe y su cultura se extiende profundamente en el pasado. Las antiguas civilizaciones en el viejo Iraq *(Mesopotamia)*, en la antigua Siria (incluyendo el Líbano y Palestina –hogar de los *«fenicios»*, tribus *Canaan Aram)*, y el viejo Yemen, entre muchos otros, fueron del mismo origen. Todos ellos construyeron grandes estados y ciudades, y crearon un gran arte y arquitectura; muy temprano en la historia.

Los más conocidos en el Occidente son los «fenicios» los antiguos árabes *(Canaan)* de la costa oriental del Mediterráneo. Como líderes del comercio mediterráneo, viajaron en sus barcos tan lejos hasta la Península Ibérica en el Mediterráneo occidental y a través del estrecho de Gibraltar hacia las costas del Atlántico en Africa y Europa. Sus descendientes, los cuales se establecieron en Cartago(Tunez), y extendieron su poder a España, llevaron el mismo papel varias generaciones más tarde.

Junto con sus actividades comerciales, introdujeron su civilización a la mayor parte del Mediterráneo. Su cultura fue predominante, y fue transmitida a otras tierras más allá de las regiones mediterráneas. La ingeniosa invención del sistema alfabético (estas mismas letras que son universales ahora), es sólo un ejemplo de las grandes contribuciones culturales del pueblo *Canaan* miles de años atrás.

El proceso de civilización continuó en el Oriente Medio en una serie de períodos históricos emparentados, una fase guiando a otras, siguiendo un ciclo de auge y decadencia, hasta la subida del Islam en el siglo VII. Este evento histórico fue crucial para toda la humanidad, porque el mundo estaba entonces, en un estado de caos y decadencia. El Islam se extendió rápido a lo ancho del mundo, y fue aceptado como una religión por millones de personas. Y pronto, la civilización Islámica alcanzó grandes alturas en muchas partes del mundo. El comercio, agricultura, y la fabricación de productos de calidad floreció más que nunca. El desarrollo y uso de la ciencia de las matemáticas, es conocida a lo ancho del mundo y es usado todavía, representa una de las sobresalientes contribuciones y logros producidos por científicos musulmanes.

La civilización Islámica también produjo un hermoso y único estilo arquitectónico. En este estilo muchas ideas y elementos fueron derivados del pasado y mejorados con nuevas ideas.

La arquitectura Islámica llegó a ser una parte esencial de la cultura y del estilo de la vida. Un dinámico proceso de construcción y progreso tomó lugar en la mayor parte del mundo musulmán. Muchas ciudades fueron fundadas y

LAS EPOCAS ANTIGUAS

La primera sala de orientación del Museo Arqueológico de Córdoba muestra piedras y artefactos dejados por los primeros habitantes del área quienes vivieron en cavernas durante la era prehistórica que data a más de 350.000 años atrás. El valle del Río Guadalquivir *(Wadi Alkabir)*, donde se encuentra Córdoba, debe ser una de las áreas más tempranamente ocupadas en la Península Ibérica. Donde hay agua, hay vida. Desde el principio, el río probablemente jugó una parte importante en la vida de los primeros habitantes. La importancia de este gran río debe haber crecido drásticamente después de la revolución agrícola que comenzó en el Oriente Medio varios miles de años atrás. Conociendo acerca de la agricultura y los métodos agrícolas, nuestros primeros ancestros comenzaron a situarse en comunidades urbanas, y a construir pueblos y villas de las cuales algunas crecieron y llegaron a ser grandes ciudades. La extensión de los conocimientos agrícolas prueba los primeros contactos que existieron entre el Oriente Medio y la Península Ibérica desde tiempos antiguos. Estos contactos comprenden todos los aspectos de la vida, incluyendo cultural, social e ideas espirituales, las cuales marcaron la vida de la gente. Este proceso de contacto con el Oriente tomó lugar por un largo período en la forma de continuas olas históricas –olas de gente e ideas– y con ellos formas de vida. Sin embargo, los estilos de vida se desarrollaron para llegar a ser distinguidamente andaluces, lo cual fue característica de al-Andalus y sus tradiciones.

De las influencias históricas, la cultura musulmana tuvo su más grande impacto en el carácter de Córdoba. Fue durante los siglos de la civilización Islámica en al-Andalus que Córdoba subió al nivel de gran capital cultural.

Los patios de Córdoba retienen el espíritu de estas tradiciones que están enraizadas en el profundo pasado. Aún reflejan el estilo de vida que existió más de mil años atrás. La agradable memoria del pasado aún está en estos graciosos patios. Hasta cuándo durarán es difícil decir. Mientras otros hablan de «progreso» tecnológico, los patios de Córdoba continúan con la tradición de simplicidad y pacífica existencia en una escala humana básica, uniendo el presente con la herencia que tiene miles de años. Estar en estos patios con el cielo visible arriba, rodeado de plantas y flores, el mundo artificial de mecánicos y «progreso» es olvidado. El ambiente de los patios crea una reflección de tiempos pasados que son combinados con el presente, produciendo un sentimiento de estabilidad balanceada –en mente y espíritu– un estado de que llega a ser extraño en esta era nuclear.

INTRODUCCION

Córdoba con sus hermosos y tradicionales patios invita a profundizarse en sus raíces históricas, culturales y sus tradiciones. Así, se entienden las circunstancias históricas que colectivamente crearon el especial papel y el destino que Córdoba jugó en la historia, no sólo dentro de la Península Ibérica sino también en otras partes de Europa.

Córdoba llegó a ser la capital y la ciudad más hermosa en el Mediterráneo occidental hace más de mil años –durante la época de la civilización Islámica en al-Andalus–. Su cultura y nivel de civilización fueron inigualados en Europa durante la Edad Media.

Córdoba tuvo muchas casas bonitas, palacios, mercados, baños, jardines, bibliotecas, colegios y mezquitas. Los poetas cantaron la belleza y armonía encontrada en Córdoba y en toda al-Andalus. Escritores e historiadores escribieron de su peculiaridad e importancia. Admiradores de otros países estaban impresionados por sus logros culturales.

Hoy, cientos de turistas visitan Córdoba a diario. Vienen a ver sus monumentos históricos y se quedan fascinados por sus atrayentes, alegres y tradicionales patios. Estos patios poseen un carácter y encanto especial. Visitantes de todas las nacionalidades expresan su deleite y admiración cuando ven estas casas. Este entusiasmo y apreciación entre los visitantes que vienen a Córdoba, combinado con el cariño y cuidado popular, han ayudado a preservar los patios de la extinción. Ahora están considerados como un interés turístico y cultural. Una competición anual de patios se organiza cada primavera en mayo para elegir el patio más bonito. Los ganadores reciben una generosa retribución monetaria. La competencia de patios es uno de los mayores eventos anuales, único en Córdoba. La mayor parte de las fotografías de este libro fueron tomadas durante la competencia de 1982. Este especial evento es seguido por la colorida feria primaveral de Córdoba, con auténticos bailes y cantos flamencos, es cuando el verdadero espíritu Andaluz se manifiesta.

Agradezco la valiosa ayuda de todos aquellos amigos que han colaborado para realizar este trabajo.

INDICE

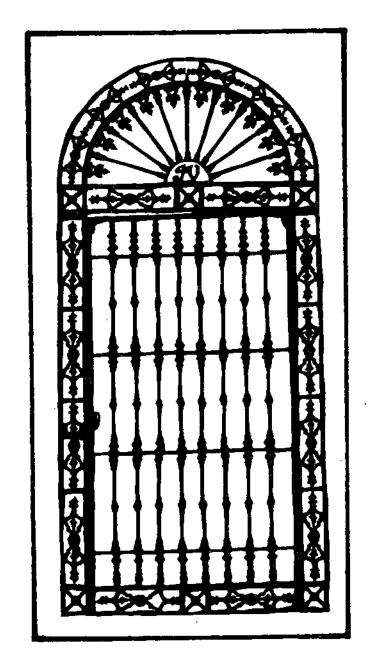
CONTENTS

Traducción del inglés al castellano
por Vicki Vala.

Editor:
Centro Cultural Arábigo-Cordobés "IBN HAZM"
Apartado (P. O. Box) 211 - Córdoba
En colaboración con Editorial Al-Manar, Kuwait.

ISBN: 84-300-9543-8
Depósito Legal CO. 389-1983
IMPRENTA SAN PABLO - Córdoba (España)

Los / The PATIOS de / of CORDOBA



A. K. Tariq

TEXTOS: CASTELLANO, INGLES Y ARABE